عارف النعماني

•

حكاية مشرقية من حكايات العطاء . مروءة عربية من مروءات الاساطير . وخلق كأنه منجم الذهب ، تنحت فيه فلا يتغير لونه ، وتصب منه فلا يتحول جوهره .
وديع في الجود يكتم حتى عن اصابع يده جوده . خبزه مآدب للناس . يسكب في كؤوس العطاش عصير عمره ودم قلبه ... لا انّة ، ولا منة ، ولا لفتة عين ولا زلة لسان ، ولا كلمة افتتاح تنبيء ، او تثني او تخبر . صامت في محبة ، مؤمن في صبر مقدس كأنه صبر الاولياء والشهداء ، صبر اهل العقل .
ودنيا من الحرية العربية . نضالها الشموخ ، وصلابتها صلابة الترفع ونهجها نهج الحق ، ومبدأها مبدأ العقيدة ، وذهنها مفتّح مع الزمن ،
تأخذ من بنيان قديمها العريق ركائز تشيد عليها حاضرها المنتظر
كان عارف النعماني رجلا من بيروت نشأ في تراب هذا الساحل القديم ...
مدّ عينه في البحر ، ومدها في الجبل ، فيما وراء البحر ، فيما وراء الجبل ، وتحرك الازرق والاخضر ، ونخيل الرمال في صدره ،
كان عارف النعماني فارسا عربيا من فرسان الزمن سلاحه قلبه . وكان لبنانيا عربيا له قلب ، يعد فيفي ، ولا يعرف الا الوفاء ... حتى في الغدر سلاحه وفاؤه ...
يحسن فيكتم ، ولا يعرف الا الاحسان ، يده عطاء ، وعينه عطاء ، وفيئه عطاء . ارتواء دائم .. حتى الفقر تحول في بيت عارف النعماني الى الغنى .
وخانه الناس ، الزعماء من الناس ، فلم يخن ، ولا جنح الى خيانة .
وعقّــه الناس ، الزعماء وغير الزعماء من الناس فلم يعق ولا مال الى عقوق .
عمل اخلاصا في العمل ، ضحّى اخلاصا في التضحية .
شجرة على معبر الطريق . تعطي الثمر ولا تسأل ، يأكل منها العابرون
ليأكلوا ... ليشبعوا .. انما نحن هنا للعطاء
فاذا قصّرنا قصّر فينا الضمير وثارت فينا المحبة وغضبت علينا البطولة ،
والعروبة ، والعقيدة العربية ، عندنا نحن ، ضمير ، ومحبة وبطولة
وكان عارف النعماني ضميرا ، ومحبة وبطولة .
... وشيعناه في شيخوخته مع الموت
يا لروعة العقوق ، قعد عن الوداع ، والتوديع من قعد
مات عارف النعماني فلم تخرج المدينة في يومه ولا سار لبنان في جراحه ، ولا انتفض العرب في بطولته ... كأنما كان حكاية العيب ...
من قال له : أعط في سخاء الجود وترفع الكتمان . من قال له : شرّد في النضال والحرمان ، في النفي والسجن ، نفسك . من قال له : كن عربيا ... أحبب بالعرب عظمة ومجدا . من قال له : اكرم وطنك تكرم ذاتك ... الوطن حياة . من علمه الوفاء ، من علمه العزة ، من جعله امانة وايمانا .
والدنيا غدر ، وخنوع ، واستسلام وخيانة تكبر في خيانة ،
ضلّ الطريق فاهمله الناس ، العرب من الناس
حتى في الموت ، لم ينهض واحد منهم الى تشييعه
ويا عارف النعماني ، امتنا امة القعود ، لا تخون الا ابناءها ولا تفي الا لاعدائها
فاذا قعدت عن تكريمك ، عن توديعك ، فعذرها انها لا تكرم الابطال
واذا قصرت عن الوفاء لك فعذرها انها لا تحب الشهداء .
قل لفيصل ، وانت في الطريق الى فيصل ... العرب ... حيث تُرِك العرب

اليـاس خليل زخريـا

الابداع الفني في رسالة الغفران

بقلم الدكتور احسان عباس
المحاضر في الادب العربي بكلية الخرطوم الجامعية

*

الغفران عمل ضروري :

نخطىء كثيرا اذا اعتقدنا ان رسالة ابن القارح الى ابي العلاء هي التي دفعت فيلسوف المعرة الى انشاء الغفران — دفعة واحدة — دون ان تكون مقدماتها حاضرة في نفسه منذ زمن بعيد . ولو ان ابن القارح لم يكتب رسالته لكان لا بد لرسالة الغفران ان تكتب على نحو ما حين بلغ التهيؤ النفسي حده الاقصى لابداعها ؛ وانما نخص بهذا الحكم القسم الاول منها ، لان الرد على ابن القارح اتخذ صورة اخرى في القسم الثاني ؛ ونعني بالقسم الاول ذلك الجزء الذي صور طواف ابن القارح في الجنة والنار ، فهو موضوع هذا البحث وهو محط ما نورده من احكام لانه اقرب الى ان ينقل حقيقة الابداع ويصور طبيعته .

وانا اعتقد ان هذا الجانب من الغفران كان نتيجة حتمية للمقدمات الق مرت بها نفسية ابي العلاء في مرحلة طويلة من القلق ، حتى اصبح ذلك القلق مقضا لهدوء صاحبه ان هو لم يعبر عنه ، ووافق ذلك ورود رسالة ابن القارح فوجد ابو العلاء طريقه الى التعبير الفني عند هذه الاثارة البسيطة . وانما نتلمس تلك المقدمات في طبيعة نفسية المعري التي شبت منذ عهد مبكر تتساءل عن الحياة بعد الموت ، وتقلب النظر في امر البعث وحال الناس يوم القيامة ، وحال الجنة والنار ، وكان هذا الاتجاه الحاد هو الذي يولد في حياته الفكرية « عقدة » تحتاج الى حل ؛ وكان طموح خياله من ناحية اخرى يبعد به كثيرا عن مستوى الارض ، ويعلق احلامه بحركات النجوم والكواكب والاساطير المروية عن صراعها وقراناتها . وكثيرا ما تجد وانت تقرأ شعره كيف يرتفع عن سطح الارض ليحلق بالنجوم ، وتحس ان خياله هذا نوع من الحلم يدفعه دائما الى ان يطير في رحاب الفضاء ناجيا بنفسه من الغرق الذي يحسه في ظلمات الارض . ويكفي ان نستشهد من شعره بقوله :

قال صحبي في لجتين من الحندس والبيد اذ بدا الفرقدان
نحن غرقى فكيف ينقذنا نجمان في حومة الدجى غرقان

وهنا نحس كيف يرمز ابو العلاء باللجتين الى ما يتراكم حوله من الظلمات وهو رهين المحبسين ، ونحس ايضا انه يعبر عن حاله وحال اصحابه بالغرق وعن يأسه من ان يكون النور الفارق في الظلمة ذا قدرة على انقاذه وانقاذ اصحابه ، وهذه الصورة تشير الى انه كان ما يزال مغلوبا على امره بالحيرة ، لا يجد منقذا في الارض وفي السماء ، ولا بد من رحلة الى عالم النور يكشف بها حجب الغيب ويميط بها عن نفسه غشاء الحيرة .

ونستطيع ان نضيف الى تشاؤمه الفكري حول العالم الآخر ، والى شرود خياله بين النجوم ذلك الضغط الشديد الذي القاه الحرمان الاختياري والاضطراري على حياته ، حتى امتلأت نفسه المحرومة بالاماني ، واصبحت الاماني في حاجة الى متنفس خيالي تنطلق فيه ، فاصبحت النجاة من عجز العالم الدنيوي امرا حتميا في لحظة من لحظات حياته ؛ ولنضرب مثلا واحدا على قوة هذه الاماني : نحن نعلم ان ابا العلاء قد صرح في بعض حالاته النفسية القلقة عما يحسه من ضيق فتمنى لو ان الخمر كانت حلالا :

تمنيت ان الخمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمانت بي الحال
فاذهل اني بالعراق على شفا زري الاماني لا انيس ولا مال
مقل من الاهلين يسر واسرة كفى حزنا بين مشت واقلال

ونعلم الى جانب ذلك ان امتناعه عن الخمر ، كان نوعا من تقديسه للعقل واحجامه عن كل ما يشينه او يضعفه ؛ واذن : فليس من قبيل المصادفة ان نراه يعبر عن هذين المظهرين معا في رسالة الغفران حين يقول : « ويذكر — اذكره الله الصالحات — ما كان يلحق اخا الندام من فتور في الجسد من المدام فيختار ان يعرض له من ذلك من غير ان ينزف له لب » فانظر كيف جمع ابو العلاء بين نيل الخمر — في الجنة — وبين المحافظة على العقل ، فاشبع بذلك امنيتين من امانيه في الحياة الدنيوية .

وعلى ضوء هذا كله يمكن ان نقول : ان رسالة الغفران كانت عملا فنيا ضروريا حتميا لانها ترضى عند المعري ثلاث قوى اجتمعت عليه معا ودفعته الى ايجادها

وتلك القوى هي :

– القوة الفكرية او فلسفته الحائرة

– قوة التخيل الطامحة الى ما وراء هـــذا الارض (ولعل للعمى صلة قوية بها)

– الرغبة النفسية والجسدية التي كفت فتحولت الى نوع من الاماني .

طبيعة الخيال في الغفران :

واذا ذكرنا الابداع الفني في رسالة الغفران فان هذا لن يحملنا على القول بان انشاء الرسالة كان امرا تلقائيـــا متسلسلا يدفع بعضه بعضا في نموه وتكامله ، فان الوعي عند ابي العلاء صرفه الى التلاعب بالامور اللغوية حتى كان يدع التسلسل الطبيعي معلقا او يوقفه عامدا ، ليرينا مهارته في بعض تلك الامور ، او يمعن في السخرية امعانا يكشف عن طبيعة الوعي الاداري في انشائه . ومثل هذه الاشياء قد يضعف قوة الخلق اثناء عملها او يجعلها متقطعة مترددة، ولذلك يمكن ان نصف القوة المتخيلة عنده بقلة الانطلاق ، لا للاسباب التي ذكرتها فحسب بل لان خياله تلبس بامور كثيرة حدت من انطلاقه ؛ خذ مثلا الصورة التي رسمهاخياله للجنة تجدها خاضعة لما عرفه من الاساطير والاحاديث (1) وقبل كل شيء لصورة الجنة في القرآن . وقد تعجبنا بعضالخطرات الخيالية فيما انشأهولكنا لا نكاد نقلبالاساطير المروية في هذا الموضوع حتى نعثر على الاصول التي استمد ابو العلاء مادته منها ، ومن ثم نحكم على مدى استقلاله في التخيل .

واذا جعلنا الاساطير – وحدها – موضعا للمقارنة تبين لنا كيف تعلق خياله بالاحجار الكريمة فالسمك في انهار الجنة من الذهب والفضة وصنوف الجواهر والاسرة من زبرجـد وعسجد ، وكذلك هي صورة الجنـــة في الاساطير : بيوتها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقيت . والنخل فيها لها جذوع من ذهب وجريد من ذهب وشماريخ من ذهب وغرفها من ياقوتة حمراء او زبرجدة خضراء او درة بيضاء ؛ وخيال المعري في هذه الناحية اقل اغراقا من القصاصين والوعاظ . وحديثه عن الشجرة التي تأخذ ما بين المشرق والمغرب مستمد ايضا من ذلك المعين الخصب الذي يذكر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، ومن هناك ايضا استمد فكرة الصك لدخول الجنة : روى ابـو بكر الخطيب ان رسول الله (ص) قال : لا يدخل احـد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان . وقل مثل ذلك في فكرة تفتق الشجر

والثمر عما يتمناه سكان الجنة . وقد كنت احسب حين قرات الغفران ان ابا العلاء هو الذي تخيل الاوزة في حجم البخت تطيف على يد ولي الله عز وجل ... فلا يزال ذلك من الزمرد فاذا قضيت منها الحاجة عادت باذن الله الى ألبختية « فيتمناها بعض القوم شواء فتتمثل على خوان هيئة ذوات الجناح » حتى قرات فـي بعض ما يرويـه الثعلبي : ان في الجنة طيرا مثل عتاق [في الاصل : اعناق] الطير بين يديه حتى يخطر على باله اكله ، فيخر بين يديه على الوان مختلفة فياكل منه ما اراد فاذا شبع تجمعت عظام الطائر ، ثم طار يرعى في الجنة حيث يشاء » .

ولقد ارى ان المقارنة بين خيال المعري وما حفلت به الاساطير استطلعنا على ان ابا العلاء لم يبتكر شيئا جديدا في نظرته الى الجنة واننا نستطيع ان نحد طبيعة خيـاله بالمميزات التالية :

– التضخيم : فالاوزة كالبختية ، وردف الحورية يضاهي كثبان عالج وانقاء الدهناء ... الخ .

– القلب : فمن كان في الدنيا شيخا عاد شابا ، ومن كانت قبيحة اصبحت حورية جميلة ...

– التولد: فمن الثمر تتولد الحورية «فياخذ سفرجلة او رمانة او تفاحة او ما شاء الله من الثمـــار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء » ...

وكل هذه الخصائص من طبيعة الخيال الذي تضمنته قصص الوعاظ . ويضيف اليها ابو العلاء صفتي الكمـال والدوام ، وهما الصفتان المستمدتان من القرآن في وصف الجنة ، ثم يميز خياله بالتفنن في ذكر جزئيات النعيم ، فيتشهى اشياء مما مرت في الدنيا ويكثر من استكثار اللذائذ التي كان قد حرمها على نفسه او حرمتها عليـــه طبيعته فيستعيد دارة جلجل ، ومناظر الصيد ، والنزهة ومجالس الغناء ، وركوب الابل ، الى غير ذلك من امور . وربما انفرد خياله باجراء شغب وصخب وشتائم فـي الجنة ، وذكر حيوانات متوحشة تعيش فيها ، وهذه ناحية تتصل بطريقته في السخرية .

على انا اذا مضينا بمقارنة خياله بخيال الاساطـير وغيرها وجدناه قد اغفل امورا هامة منها رؤية الله تعالى وذكر الجبال في الجنة ، ووجدناه غير مسرف في تصور الشهوات الجنسية التي اتاحت للقصاص ناحية واسعة من التفنن المغرق في التصور والتصوير .

دلالات التصوير :

ولعل التصوير هو خير ما نحكم به على طبيعة الابداع الفني ونفسية ابي العلاء . فقد طالعنا المعري في الرسالة بتسمية حبة قلبه « حماطة » وهي شجرة التين التي تأوى اليها الحيات اذا كانت خضراء ثم سمى حبة القلب «حضبا»،

(1) حين اذكر الاحاديث في هذا المجال لا يعنيني ان كانت صحيحة او غير صحيحة ، بل لعل الثانية اقرب اتصالا بروح البحث من الاولى لانها تعبر عن نفسيات اصحابها واخيلتهم .

وهو نوع من الحيات ، ثم سماها « الاسود » ، وهكـــذا استمر الرمز لديه بين القلب والحية في مطلع الرسالة واسعفته الالفاظ التي اختارها على هذه التسمية ، ومعنى ذلك انه واجهنا بذلك الرمز القديـــم : الشجرة والحيـــة والقلب ، وهي الرموز التي تجمع قصته الخطيئة الاولى في حياة البشر ، والتي بسببها خرج آدم من الجنة . ومهـــد بهذه الصورة التي هي اصل الخروج من الجنة للعودة اليها، وكانت الشهوة هي المفهوم الاول لهذه الرموز ـ ومركزها القلب ـ ولقد حاول ان يسلب عن القلب صفـات الحية الا ان هذا اكد العلاقة بدلا من ان يطمسها . بالخطيئة خرج الانسان من الجنة وبالخطيئة يعود اليها ، وهذا هو المعنى الذي أثارته رسالة ابن القارح وقصة توبته ، حتى اصبحت جنة ابي العلاء مثابة المخطئين الذين خلطوا خطاياهم بشيء قليل من الخير ، يقل احيانا حتى يبدو تافها مضحكـــا ، واخيرا تلقانا الحية نفسها بين اهل الجنة ، وبهذا انتظمت الرسالة صورة خلطت بين الحية والخطيئة والانسان ، حتى جعلت الجنة متنفسا للشهوات الانسانية فـــي صورهـــا المختلفة .

غير ان رمز « الاسود » مهد لخط آخر من الصور فقد اثار بالتداعي ذكر الاساود والسواد ، حتى اذا ترشح السواد على طبيعة العمل الفني ـ منذ البدء ـ اصبحت الظلال تملأ الجنة ، واصبحت الشجرة تاخـــذ ما بـــين المشرق والمغرب بظل غاط . وحيثما تأملنا افتقدنا شيئـــا ضروريا في حياة الجنة وذلك هو النور على تنوع فيما يرمز اليه . والنور مفقود في رسالة الغفران الا في قول ابي العلاء « فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النور الشعشعاني » مما يشير اشارة عابرة الى ان الجنة يغشاها النور الشعشعاني ؛ غير ان المعري لم يقف عند هذا النور ولم يتأمله وهو يطوف في الجنة . وليس العمى هو الذي صرفه عن تأمل النور ؛ انما النور رمز للجـــلاء الفكـري والنفسي ، وافتقاده يدل على ان هذا الجلاء لم يتم ، حين انحرف عنه ابو العلاء الى السخرية فلم يخرجه طوافه في العالم الآخر من الغرق المظلم ـ من اللجتين اللتين كانتـــا تخنقان نفسيته . ومن ثم افتقدنا في الغفران ذكر النور الاعظم او رؤية الله تعالى . واذا قلنا ان القصص هي التي بالغت في ذكر الظلال وتابعها ابو العلاء في هذا ، فلا بد ان ننصف تلك القصاص لانها اهتمت بالنور اهتماما واضحا .

واهتمت الاساطير ايضا بذكر الجبال في الجنة ، ولكن ابا العلاء لم يلتفت اليها ، وليس عماه هو الذي صرفه عن تذكر ذلك . لاننا اذا دققنا في الامر ، وجدنا ان صورة الصعود مفقودة لديه اطلاقا . فالانتقال الصعودي بـين الارض والجنة لا وجود له . وابن القارح يرى انه في الجنة دون ان يكلف نفسه مشقة السفر صعودا . او دون ان يحس بنفسه طائرا نحو الاعالي . ولا بد ان نقف عند فقدان الصعود او الطيران ، واذا تتبعنا ما في الرسالة من صور الطيران وجدنا انطلاقا محدودا مقيدا . فالطيور التي تطير نوع من الاوز ، وهو طير لا يتعدى الافق القريب في طيرانه. وابن القارح يلوب ماشيا من مكان الى آخر ، لا يستطيع تحليقا فاذا اراد النجاة تعلق بذيل فرس طائر ، وطيران الفرس مقيد بما نعرفه عن طبيعة هذا الحيوان في العالـم الدنيوي . واذا تغاضينا عن السخرية في هذه الصورة وجدنا ان الطيران ضعيف متذبذب قلـــق ، ليس فيـــه اندفاع او انطلاق وتحليق . والطيران في الحلم ـ فيما يرى فرويد ـ تعبير جنسي ، فالاقلال منه يشير الى ابتعاد نفسي عن التعبيرات الجنسية . واذا تذكرنا الحية والرمز الذي تشير اليه وقفنا عند هاتين النتيجتين :

ـ ان قلة الطيران تشير الى ضعف في التعبيرات الجنسية في الحلم

ـ ان ابا العلاء ذكر الحية حقا ـ وهي رمز شهواني ـ ولكن الحية تدل عند ذوي النفسيات المتعلقة بالامور الروحانية على الشهوة وعلى الخوف منها في آن واحد ؛ فاذا عرفنا ان ابا العلاء حاول ان ينفي الحية من صدره ، ولم يعطها الا مكانا متواضعا في الجنة ادركنا ان طبيعة الصور والرموز عنده تشير الى خوف من الشهوة وابتعاد عنها ، او الى ضعف جنسي . وانه من ثم لم يفرط كما افرط القصاص في التغني باللذائذ الجنسية في الجنة.

وكما ان الطيران في الجنة محفوف بهـذا الحذر ، فان الانطلاق ايضا ليس تلقائيا طيعا ، وانما يجيء بعد ممارسة ومعالجة ، فالخيل لا تنطلق في الجـــو الا اذا واجهها الزحام ، والحورية لا تتم حورية الا بعـــد ان تستكن في الجوزة ، ثم تنفلق هذه عنها ، وهكذا . ومثل هذا الانطلاق بعد انحباس مصحوب بشيء من العسر ، تلمسه ايضا في التعبير نفسه حين يتحبس وراء الالفاظ والاسجاع .

فاغفال الجبال في الجنة يتفق مع اغفال الطيران والصعود ومع اغفال النور ، وهذه النواحي السلبية تدل على الانسجام النفسي في ابداع الغفران . والجبل لا يمثل الصعود فقط ، وانما يمثل النور ايضا ويتصل به ؛ لان الجبل الذي تمثل في حياة الامم القديمة مستقـرا للالهة ظل ايضا عند القائلين بالوحدانية مكانا للتجلي الالهي ، او لصدور النور ـ (الطور مثلا) .

وعلى هذه الطريقة من دراسة الرموز والصور في رسالة الغفران نستطيع ان نحدد فيها طبيعة الابــداع الفني ؛ وما تقدم ليس الا نموذجا واحدا لما يمكن ان تثمره هذه الطريقة من خواطر وآراء .

كلية الخرطوم الجامعية احسان عباس

المغيب

✳

ابريق ما ارى خلف السحاب ام سطور تتراءى من كتاب
عجبي للشمس ما سطرت حينما جدت ببين واغتراب
حالت الافق خضما من دم يتلظى بلهيب واضطراب
وطفا النور كسيل جارف في حواشي الافق محموم الرغاب
صور شتى افانين المنى حكت الرؤيا باهداب الشباب
فكأن السحب والنور بها مائج فلك تهاوت في عباب
سفن للنور راحت ترتمي ناشطات السير في شتى الشعاب
نشرت راياتها مؤذنة بافتراق ثم جدت في انسحاب
اي شجو هيجت شمس الضحى حين غابت واثارت من عذاب

* * *

عرت الوحشة اكناف الربى فلوى (السوسن) جيدا باكتئاب
يتنزى من شجون واسى نزوان الطير في قيد العقاب
رب صمت من كئيب موجع حقق المعنى واغنى عن جواب
والخزامى اطرقت مغمضة مقلة اطراق دل وعتاب
غلب اليأس عليها فارتمت كخليع نـاء من وقر الشباب
او كمشتاق سرت في نفسه سورة الشوق الى رؤيا الصحاب
قام يرنو من حنين للحمى مستعيدا حلو ايام الشباب
والندى يرفض في جنح الدجى كارفضاض القطر او دمع التصابي
اي شجو هيجت شمس الضحى حين غابت واثارت من عذاب

* * *

وترى الطير ترامت زمرا تقطع الافق بوخد وانتهاب
تنبري كالسهم حينا صعدا واذا انقضت تراءت كالشهاب
يممت شطر الحمى مسرعة تتحدى الريح جريا في الغلاب
ولها من شوقها حاد اذا اخذ الاعياء منها في الاياب
اين للنازح عن اوطانه راحة البال وصوب من صواب
وصغار الطير في اعشاشها ترمق الليل بذعر وارتياب
ترسل الصيحة من شجو كما شهق الموجع من وخز الحراب
ولها في مسمع الافق اذا رددتها الريح انات انتحاب
اي شجو هيجت شمس الضحى حين غابت واثارت من عذاب

* * *

خبت الانوار الا صفحة من ضياء تتراءى كالهباب
واستسر النور في غمد الدجى كحسام مستتر في قراب
خلت شؤبوب الضيا من رقة سال يهمي قطرات من حباب
دق قرن الشمس حتى خلته شاكل اللغز غموضا في الحساب
والدجى اومأ من خلف السحاب ناشرا فوق الربى جنحي غراب
ظلمة كالبحر في اثباجه غمرت اطباق هاتيك الروابي
غفت الطير وفي آماقها عبرة الموجع من سهم المصاب
والازاهير ارتمت من شجن شلو اعياء على سافي التراب
اي شجو هيجت شمس الضحى حين غابت واثارت من عذاب

دمشق — **عدنان مردم بك**

شخصيه ابراهيم ناجي

بقلم مصطفى السحرتي

✳

من المتعذر علي في هذه الآونة النفاذ الى شخصية الشاعر الغنائي الوجداني المثالي ناجي. فتحليل اسرار هذه الشخصية وتعمق العوامل التي كونتها يتطلب تعرف دقائق حياة الشاعر ، ووراثته ،وبيئته ، ودراساته واقواله واعماله الادبية ، كما يتطلب فهما عميقا لسيكولوجية الشخصية ذاتها ، ولهذا ارجو اعتبار هذه الكلمة محاولة ، ومحاولة جريئة لتعرف خصائص هذه الشخصية وسماتها ، انها ظلال واضواء خاطفة للذين يريدون رسم صورة حقيقية كاملة لناجي .

فالشخصية ، كما يقول ناجي في كتابه « رسالة الحياة» ص ٥٩ ، سبيكة متماسكة ، وهذه السبيكة مكونة من خصائص موروثة ، وعاطفة وعقل وامزجة ، واذا كنا قد عرفنا من امر هذه السبيكة الكثير فلا يزال باقيا الكثير

واول ما يطالعنا من ناجي هو وجهه المعبر وملامحه الناطقة بابرز سماته .

العينان الواسعتان الحالمتان يغمرهما الحنان ، الانف الكبير المجنح النمّام على الاعتداد والاباء وسعة الخيال ، هاتان الوجنتان العاليتان الناطقتان بالجرأة والمغامرة والاقدام، هذا الفم الحسي الذي لا تفارقه الابتسامة اربدت الدنيا او اشرقت ، هذان الفكان الحادان العصبيان المنتهيان بذقن دقيق ضئيل دال على الوداعة والهوادة واللين ، يعلوها جميعا هذا الرأس الكبير العجيب في كبره ، تبرز منه جبهة عالية نبيلة ذكية .

هذه هي ملامح ناجي الوجهية للمتفرسين وهي النافذة التي تطل منها على شخصيته ، وهي في جملتها تدل على عقل كبير وقلب عظيم وارادة وادعة وديعة ولو كانت ارادته متعادلة مع قواه الشعورية والفكرية ، لكسبنا عظيما جبارا ، وفقدنا شاعرا نابغا فنانا .

ورجعة سريعة الى وراثته تحدد لنا تحديدا عاما الخطين الرئيسيين لاتجاه شخصية ناجي وتكشف لنا عن طبيعته الشعورية الدفاقة ، وطبيعته التفكيرية الهادئة ، وغلبة الاولى على الثانية ، فقد ورث من الام مرحها الفائق وطيبة قلبها وحاسيتها ، ومن الاب جدّه ونزوعه الى التفكير ونزوع ناجي الوجداني انقلاب يتأكد من ميوله في الصغر ، فقد كان يميل بطبعه الى القراءات الادبية والشعر بخاصته ، وكان يغرم بسماع الموسيقى ، كما حدثني بذلك اخوه الاكبر الاستاذ محمد ناجي اذ قال :

كان ابراهيم مغرما بالمطالعات الادبية ، وسماع الموسيقى ولم يكن يهتم بالالعاب الرياضية ، كما كان يفعل رفاقه الصغار ، واول شاعر استهواه : الشاعر العربي الوجداني الشريف الرضي ، وكان يحفظ ديوانه عن ظهر قلب .

ويتجلى هذا النزوع الوجداني وغلبته عليه فيما خلّف من تراث شعري وجداني صادق رفاف ، تاثرت به قلوب وقلوب . يقول ناجي :

وانا الذي قضّى الحياة مُعبراً ومرجعاً لخوالج الوجدان

رجع ناجي كما يقول خوالج وجدانه ، وعاش هائما في الميدان الوجداني سابحا بين احلامه ، واوهامه وخيالاته وتهويماته ، يجد فيها جذله ، وابتهاجه وسعادته بل شفاء جسمه . والاديب ، كما يقول في مقاله «سيكولوجية الاديب » طفل كبير . الاديب الصحيح له خصائص الطفل في فرحه بالاشياء وسذاجته وتهلله وضحكه وخياله ، وفرحه وابتهاجه بالموسيقى » .

ولا عجب اذا رأينا هذا الطبيب الماهر لا يعرف في بعض الاحيان علاجا لمرضه ، الا التملي برؤية البحر والنظر الى السماء ، والتداوي بالاغاني ، وانه ليروي لنا حدثا عجبا في محاضرة له عن شكسبير يقول :

« مرضت مرضا لم ادر كنهه ولا صفته ، ولا اعلم اليوم ما اسميه وانما اوقن انه من الحالات التي يضيق فيها المرء بالدنيا ولا يؤمن بطب ولا طبيب ولا يجد فرجا الا بالتطلع الى السماء لعله يجد ثقبا يستنزل من خلاله رحمة لم يعثر بها على الارض » ... « وكنت قد فكرت ان اجلس جوار البحر طلبا للشفاء ، فوضعت يدي في مكتبتي وضعا اعمى ، لا اتخير فيه كتابا بعينه ، فخرج لي كتيب صغير هو اغاني شكسبير ، فاخذت اتداوى به ، اتداوى بالقرب من البحر وباغاني شكسبير حتى تم لي الشفاء » .

فلا غرو اذا رأينا العاطفة تحكمه طوال حياته ، ولا غرو اذا رأيناه يبكي في قصيدته التأملية « المساء » كدح الفقير، ويعطف على بؤس الراقصة في قصيدته النابغة « في المرقص » ويغفر للحبيبة الضالة في ملحمة الاطلال :

وأرحمتاه للقوي الصبور ... يقضي الليالي في كفاح عنيف
وكيف لا ابكي لكدح الفقير ... أقصى مناه ان ينال الرغيف
كم صحت اذ ابصرت هذا الجهاد ... وميسم الذلة فوق الجباه
يا حسرتا مما يلاقي العباد ... أكل هذا في سبيل الحياة ؟

اما في ملحمة « الاطلال » فهو يبلغ الذروة في الاعراب عن انفعالاته تجاه حبيبته التي ضلت الطريق ، وهذه الملحمة نموذج لوجدانه المفعم بمتنوع الانفعالات ، فهو لا يكاد يغضب ويثور بالسخط عليها والنقمة منها حتى تعاوده سماحته وطيبة نفسه ، وحنانه حتى على من يكره ، ويلوذ الى نفسه يواسيها والى ما فعلت هذه الضالة فيغفر لها ، وفي نهاية هذا القصيد يرمز لاول مرة ويصف الحبيبات بالزهرات :

ايها الشاعر خذ قيثارتك ... غن اشجانك واسكب دمعتك
رب لحن رقص النجم له ... وغزا السحب وبالنجم فتك
غنه حتى ترى ستر الدجى ... طلع الفجر عليه فانهتك

ثم يقول صافحا متلمسا العذر :

واذا ما زهرات ذعرت ... ورأيت الرعب يغشى قلبها
فترفق واتئد واعزف لها ... من رقيق اللحن وامسح دمعها
ربما نامت على مهد الاسى ... وبكت مستصرخات ربها
ايها الشاعر كم من زهرة ... عوقبت لم تدر يوما ذنبها

هذا النزوع الوجداني المشبوب في تأملاته وغزلياته ، وجد جذوره المتأصلة في بيئته الصغيرة ، التي كان يلفها ايمان مكين وطبيعة مونقة تطيف بالبيت الكبير الذي درج فيه الشاعر . هذا الى حب طفلي خفي لم يكشف عنه القناع . ولكنه عاش في شعر صباه .

ففي البيت الكبير الذي ولد فيه ناجي ، تفتحت عيناه على اسرة تقية ، ومسجد بالبيت يقام فيه ذكر الله ، وفي جيرة البيت ، وقعت عيناه على فناء تجمله اشجار التوت والجميز واعواد الغاب كما وقعت على حقول رحيبة ، فسرب في نفسه من هذه المشاهد التأمل والتخيل ، والعكوف على الاحلام اللاهية وعلى هذه التأملات والاحلام طعم الوجدان واقتات، ووجد الالهام نبعا ثرا من ينابيعه .

عاش ابراهيم على هذه الاحلام ، ورقد في قلبه الايمان ، واي ايمان ؟ ايمان خفي متغلغل ايمان الصوفي المتمرد على التقاليد المائعة ، وعلى اوضاع المجتمع ، ايمان الفنان الواله العائش في فوضى لذيذة كما يقولون ، عاش بايمانه الطهور على الارض ، كالزنبقة البيضاء في الطينة السوداء :

سموت كأنما اقضي ... الى رب يناديني
فلا قلبي من الارض ... ولا جسدي من الطين
سموت ودق احساسي ... وجزت عوالم البشر

وتزود وجدانه من جمال ابناء الطبيعة ونباتها وآمنت الطبيعة طوال حياته مسلاة لنفسه ، مطهرة لهمه ، وكم ذا ناجى القمر ليخلصه من آلامه :

خذني اليك ونجني ... مما اعاني في الثرى
قدحي ترنق فاسقني ... قدح الشعاع مطهرا

وكم ذا ناجى النهر والليل ليقصيا همومه :

يا ايها الليل جئت ابكي ... وجئت اسلو وجئت انسى

اما الحب فقد كان اكسير حياته ، كان قوته الروحي وشرابه الحلال وامله السري ، وهو يحدثنا عن هذا الحب في طفولته ، في مقطوعة « على البحر » بديوان ما وراء الغمام ص ٢٠١ وفيها يقول :

اني ذكرتك باكيا والافق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب شبه دامعة العيون
هل انت سامعة انيني يا غاية القلب الحزين
يا قبلة الحب الخفي وكعبة الامل الدفين

وهو لا يفتأ في حنين حب الطفولة الذي لا يبرح جوارحه ، ويؤيد ذلك قصيدته « ساعة لقاء » عندما لاقى حبيبة صباه :

درج الدهر وما اذكر بعدك ... غير ايامك يا تؤام نفسي
وانا الطائر قلبي ما حبا ... لسوى غصنك والوكر القديم
ما تبدلنا ولا حال الصبا ... والهوى الطاهر والود الكريم
لم تزل ذكراه من بالي وبالك ... كيف ينس القلب احلامصباه!

اجل احلام صباه وبيت الظلال وشجرة الجميز والحب الطفلي واعطار المسجد ، هي الجميزة الاولى التي غذت حياته الشعورية ، وجعلت منه الشاعر الوجداني الاول في مصر ، بل والشرق العربي بلا مراء .

وشاء القدر في سخره ان يمهن هذا الشعوري المثالي الوثاب مهنة الطب ، وان يودع دنيا الخيال الى دنيا الواقع ،

ويهجر دنيا الحلم الى دنيا العمل . وكان عليه ان يوائم بين الحلم والحقيقة ، والمثالية والواقعية ، فاتكا على نفسه كثيرا وآدها طويلا ليوائم بين هذه الدنا المتنافرة وافلح في الجمع بينها على حساب اعصابه المرهقة .

ودخل عالمه الجديد فبرز فيه بروزا عجيبا بفضل ذاكرته الخصبة . ولم يقف عند المعارف الطبية بل نهل ما شاء له ان ينهل من المعارف العلمية والفلسفية والسيكولوجية حتى اصبح كالموسوعة المتنقلة ، ودعته مغامرته الى استخدام التحليل النفسي في علاج مرضاه والى استخدام التنويم المغناطيسي في مداواة بعض الامراض المستعصية ، ولكنه ابطل استخدام هذا الاخير في عيادته ، عندما ثارت عليه الوسيطة وهي منومة .

وفي هذه الحقبة من حياته تعدلت شخصيته وعادلت بين قواها الشعورية وقواها التفكيرية وبين مثاليتها ومادية الحياة ، وبين انطوائيتها في الطفولة وانبساطيتها في دنيا العمل ، وانك لتراه قد جمع من خصال الانطوائي بعض ضلاله كحب العزلة والقوى الخفية والتأثر بالاحزان ، والميل الى التفكير ، ومن خصال الانبساطي بعض خلاله ، مثل ميله الى الاتصال بالناس ، والتحدث اليهم في جراة واقتناء الاصدقاء وما اليها .

ومع تعادل شخصيته في منتصف حياته ، فقد كان الطابع الانطوائي اغلب عليه ، ولهذا عاش في دنياه كالطائر الجريح يقطر دمه على التراب ، وهو يدف بجناحيه للصعود الى السماء وها هوذا ناجي يكشف لنا القناع عن طرف من هذا الصراع النفسي في هذه الفترة يقول :

« شاء القدر ان اكون طبيبا ، وليس في الطب من حرج وانما الحرج ان يكون الخيال مركبا في طبيعة انسان، فاذا القدر يواجهه بالواقع ويصدمه ... انما الحرج ان يكون الشعر مركبا في طبيعة انسان ، فاذا القدر يضعه فوق اسنة المادة ، ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا خيال » !

وهذا التعادل الذاتي لم يكن على حساب مبادئه الاصيلة ومعدنه النفسي ، فقد عاش في جو العمل بروح الشاعر يقتني المال وينفع في الخير ، ويجهد نفسه في الطب والصحافة لا من اجل الجاه او الشهرة الزائفة بل ليسعد ببسمة مريض او يعثر على صورة ادبية جديدة او تقدير معنوي مجرد . عاش على المعنويات والاماني ولم يعرف الا السعادة الوهمية :

ريُّ عمري من أكاذيب المنى   وطعامي من عفاف وتمني

وقد حامت به آلام وهموم ولكنها لم تعد باطنه ، بل بقيت في قراره وبدا للناس الباسم الضحوك الهاش ، الباش ، المرح الطروب ، والعبرة في الحكم على الشخصية بما تبدي للناس لا بما تخفي في قرارة النفس ، ولهذا لا اوافق على ان ناجي كان مكتئبا متشائما ، بل بالعكس كان طابعه : المرح والظرف والبشاشة .

اما ما كان يخفى من آلام ، وما كان يعجّ بنفسه من هموم فقد كان يرتفع عليها ، ويهزمها بوسائل ثلاث : باللجوء الى الحب الحلال او الى الدعابة ، المرح والنادرة الذكية ، او الى الشعر يتسامى به ، ويفرح بابداعه ، ففي رحاب الحب نسي المه .

سناك صلاة احلامي   وهذا الركن محرابي
به القيت آلامي   وفيه طرحتاوصابي

وفي دنيا الدعابة تخلص من كبتات نفسه ، وفي النادرة الذكية دفع اوضار الحياة واثقال الناس ، وقد كانت دعاباته ونكاته الذكية لا ينضب لها معين ، والدعابة او النكتة كما هو معروف سيكولوجيا من بنات العقل الباطن ، وهي قطع من الفن الدقيق المتمم ، وابداعها يشبه الالهام ، ويهذبها الذكاء وقد استخدم هذا الفن في عمله الحكومي ، وفي عيادته وفي خلواته ، وفي محاضراته ومعاملاته .

ومن فكاهاته الذكية ، ان صاحب العمارة التي يسكنها رفع عليه دعوى باخلاء الشقة التي يسكنها لانه يريدها لاحد اولاده وهو على وشك الزواج ، وهذا من حقه، ومثل ناجي امام المحكمة فاستأذن القاضي قائلا :

« اريد ان اعرف لماذا اختارني المالك بالذات دون سكان العمارة كلها .

فأجاب محامي المدعي : لانك غني وما لك عمارة في نفس الحي . وساله القاضي : احقا تملك عمارة في شبرا يا دكتور ؟

فاجاب في بديهة حاضرة : انا مالك عمارة ؟ هو انا مالك اعصابي ؟ وضجت المحكمة بالضحك وتنازل المالك عن شكواه ! »

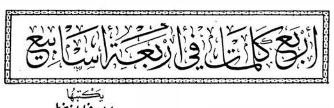
بمثل هذه الدعابات التي نبغ فيها ناجي ، كان يخلص من آلامه وكبتات نفسه ويخرج من مأزقه !

هذه بعض خصائص شخصية ناجي ، وهي احجار السبيكة ، اما لآلىء هذه السبيكة فهي مبثوثة في شعره : شعره الرفاف النابض ، الناطق بحيويته الدفاقة ، طلاقة التعبير الدالة على تحرره وجرأته ، ملكيته للعبارة الدالة على دقته واعتداده بكرامته وقوته التفكيرية ، تصويره المتحرك الرفاف ، الدال على نشاطه وقوة ابتكاره ، تجاربه الشعرية العميقة الناطقة باخلاصه وصدقه وعمق نفسه وتجرده من التصنع والافتعال ، اسلوبه الواضح التلقائي ، الدال على صراحة ونبوغ ، جل موضوعات شعره ذاتية تدل على انطوائيته وآنيته ، والقليل منها يدل على موضوعيته وانسانيته .

هذه بعض خلال ناجي من لآلىء شعره ، ولا يتسع المجال لبيان شواهدها ، فالحديث فيها يطول ويطول .

وماذا اقول في شخصية مثالية ، شعورية ، مفكرة خسرت العالم وكسبت نفسها .

القاهرة   **مصطفى السحرتي**



يكتبها

الياس خليل زخريا

شاعر

وعريت الغصون فلا نسيم   يداعبها ولا طير يغني

المكسيك   الياس ملحم زخريا

نصف جيل كانها رفة عين في لمحة خاطر ، كان فيها ، سميئنا ، الكبير ، العميد في الوطن والمهاجر ، على نسب الدم ، وقربى الحرف ونوي الفكر ، ومناقب الوراثة ، وجها يكرم ، وصيتا يحب ، وقافية تردد ، ورأيا يتنزل في اعماق الفكر ومناهج الحياة الصالية

وضع امس بعد نصف جيل ، بعد فجر وليل طويلين من القلق والشوق ، الياس ملحم زخريا ، قدميه على رصيف المرفأ

عائدا الينا ، بذراعيه القويين وجبينه وقلبه وضمة تحركت فيها اواصر الزمن ، وتلوت عليها سواعد العمر ، وغرقت فيها المناهل وتلمست ضلوعنا ضلوعه كأننا العطش يشد اليه الماء ، والسحاب يشد اليه

خيوط المشرق ، وباب البيت يشد اليه صاحب البيت ، ومركز العتبة ...

وانصب الجدول جداول في اليم العميق ... في هذه النفس اللبنانية المخمرة في مجاهل النضال الطامحة كأنها غصن السرور ، غصن السنديان رأس الجبل ، جبل «الشقعة» الضارب ، الضارب ، رأسه في رأس البحر ، الواقف على ممر «القلعة» نافذة على السماء ، من جبل الارز الى جبال الالهة في هياكل القمم المقدسة . لم تعرَ الغصون ، ولا نام النسيم عن الورق ، ولا سكت الجناح عن التطواف في مباسط الطيب . على عينه من موج البحر حكايات التمرد

على انفه من متاعب الحياة شموخ الانفة . وعلى عصاه من ادغال المجاهل صرخات القوة ونداءات الفوث وهمة التقدم . صوت قديم من لبنان من هذا الـ «لبنان» القديم ، من تلك الاصوات اللبنانية التي شقت ظلمات البحر بيديها الاثنتين تزحزح بها الصخور الثقيلة وتحطم بها المشاق وتتسلق سلم القدر الى مدارج النهوض ...

... ورأى الدنيا القديمة حوله ... وما اطل عليه الجبل السنديان حتى اطلت فيه اشباح الالم . ومواكب الذكريات . واحدة من عند العين ، وواحدة من عند الكنيسة ، وواحدة من تحت اللوزة ، من عند الدير ، من وادي الزيتون الاخضر ، ... والف واحدة واحدة من، الخشبة الصليب ، القائمة

على صدر القرية في مقبرة الموت الصامت

وتحرك الامس من خرائب التراب . كل حجر له همسة . كل باب له نداء . كل نافذة لها حكاية . كل بئر لها قصة وشربة وحبل طويل يسحب الجرة الحمراء من البرودة الطيبة...

العائد الينا ، هذا العائد الينا ، بعد نصف جيل ، شاعر عربي من شعرائنا الميامين . هذا العائد الينا مفكر عربي من مفكرينا المقدمين له شعر ، وله نثر ، وله فروع قوية امتصت من قلبه

فاورقت بالبيان، على صور اللون، وستارة الصوت وحكاية الحياة

ونحمل نحن من العائد الكبير «زاويتي» اسمه.
والاسماء كلمات ، والكلمات ايمان ، وحمائل ايمان
والاسماء في البيوت بشائر وعقد المحبة في
... سلسلة البقاء...

نكتب في الفرح والشوق . فقد عاد الينا
جبل أخضر من جبالنا الخضراء.
وهذا الوطن الاخضر ، وطن محبة وغربة
كل حصاة فيه تشتاق الى ظل .
شوق وقلق ، ووداع ، وتمرد .
نودع ونستقبل كاننا صواري المراكب على
المد والجزر في شطئان البحر الثائر

ايها الشاعر

ها هو لبنان كما ودعته ....
ينتظر في دروب الشوق ابناءه المشردين .
جفت في آباره المياه . تعرت غصونه من الورق.
اهلا بك ، وبالف الف مثلك...

متى نسد هذه المعابر فلا يخرج من
بيوتنا ، من عضادة بيوتنا ، حجر الى بيوت
الناس
... اتعمر الارض ... وبيوتنا خراب ..
وقلوبنا في الشوق ، والموت ، على مفارق المغيب

* *

بلبل

يستيقظ هذا البلبل عندنا في القفص مبكرا
مهمنا بعمله كانه على موعد في منحى اللقاء .
... ويصدح ، ثم يسكت ، ثم يلتمس بجناحيه
قضبان قفصه ، ثم يصدح صداحا .
ينقر حبة القمح وفتات اللقمة ، ويروح يطوف
في هذه الدنيا الضيقة على اقطابها القريبة
وكانه نقل في الآفاق ونقل قدمه
ملء سطح الارض ومنابت التراب ...

وسالت نفسي .. لم يا ترى يستيقظ
هذا الطائر السجين باكرا مبكرا ابينه وبين
موكب الشمس في قدومها الينا ، الى سراديب
دنيانا ... عهد قائم وموعد دائم ..

ابينه وبين الليل الاسود تناغم في الصمت
والهمس والتطلع وغناء يتسرب في خلايا الحناجر
ويذوب على مهدنة الشفاه
والليل اسود ... ويكون الليل ، حينا ،
ابيض ...
فقد كانت ليلة الليلة البارحة ، ونحن على
شرفة الطريق ، وتهدل القمر على ثوبها الجديد
اشبه ما تكون بنصاعة الثلج في مصاهر
فضة على زبد الجنة بين اقدام اهل
الجنة البيض ...
البياض هو لأهل الجنة ولاقدام اهل الجنة
ولهذا الرخام المقدس الذي بنى به الرب
بيته الابيض في خواطر الناس البيضاء ،
ولزهر التفاح الاحمر الذي اطعمته حواء زوجها
فاخرجت ربها من دهور هدوئه الى غضبه ، في
لمحات غضبه العظيم ..
وفي الجنة دوحة وارفة تعشش فيها البلابل
واسراب البلابل . ونسمع نحن من وراء هذا
القفص ، عندنا في البيت ، صدى الصداح
ترى ؟ من علم هذا البلبل الصغير
في قفص الخشب ان ينهض كل يوم
قبل الشمس يبشر بقدومها لتبشر هي بقدوم
الامل وقدوم الضياء
...ثم ... من اين جاءها الضياء ...
ثم من اين جاءها الامل ، لو
لم يكن خيطها اي خيط الشمس ، معقودا
بمصابيح الجنة المعلقة باغصان الدوحة
بين قناطر الكوثر وسدرة المنتهى ومنابع الضفاف

وسالتني ابنتي امس وهي لنا تمسك حتى
نبرة الكلام : ما هو هذا الصداح ؟!
وقعت عينها في عين القمر ومالت اذنها
الى الصداح ثم كانت كانها تفكر ، ثم
كانت كانها تسمع ، ثم كانت كانها تبكي ،
تتلمس قفصها القماش ، كما يتلمس البلبل
الطائر قفصه الخشب .
ارتفع صوتها بالبكاء وسكت على التلفت السريع
صوت البلبل
راحت تصرخ بشدة . اقلبتها على
الراحتين في بهجة الشمس . قفصها مثل قفصه ،
خشب ، وقضبان خشب ، وباب صغير ، تخرج منه
الى غمرات صدورنا لكي تخرج منها الى
غمرات الضياء والهواء
وتنام في العتمة كما ينام البلبل . راسها

تحت جناحيها . وتستيقظ قبل الشمس .
تناغي كما يناغي وتهمس بشفاهها كما يهمس بجناحيه ... فتح هو باجنحته خيوط الصباح ،
وفتحت هي باصابعها النحيلة خيوط عمري .
تحرك هذه اليد النحيلة كأنها تغزل بها خواطر الامل على نسيج الرؤى العابرة .
تكاد اصابعها تهمس الكلمة قبل ان تهمس شفتاها الصغيرتان حرف الهجاء ...
وهؤلاء الذين كانوا قبل الابجدية ، قبل قوالب الابجدية ، يتكلمون ، كانت حركات الفكر على اطراف
اصابعهم ، وعلى اهداب عيونهم ، وفي صداح شفاههم ، كمناغاة مناقير البلابل بين الغناء والتأمل

* * *

وسألتني رفيقتي : اليس لهؤلاء الصغار دنيا وراء هذه الدنيا او غير هذه الدنيا ؟
اتراها جهازا لها ام انتهاء فيها او قنطرة هادئة تعبر عليها النفس من نضارة التراب الى قساوته وفنائه
وذكرتني بالمدينة العظيمة المقيمة وراء الجبل الثامن في حكاية ، اخوان الصفاء ، يوم تيممتها الطيور وحلوا بفنائها ينتظرون الاذن بالدخول على الملك .. يا لروعة المشهد .. اية عين في الانتظار هي هذه العين ...
واية اجنحة في الشوق هي هذه الاجنحة ..
واية ابتهالات الى الغد هي هذه الابتهالات ... داعية الشوق في همة الطلب ....
واشواق كامنة تبرز من كمين القلوب ،
ومنادي الغيب ينادي من وراء الحجب ،
وحنين الى بلوغ الارب ...

وتحرك هذه الصغيرة يدها كما تحرك الشمس اصابعها في وجوه الزمن او كما يحرك القمر ضفائره في حواشي الليل الطويل ، البارد . ويرفع البلبل في المقفص منقاره ويصدح .
هذا البلبل الذي سجنته ابنتي بين الجدران في زاوية من زوايا الارض ، هو بلبل الايك المشرد الذي تجسدت فيه خواطر النسور

* * * *

.... كان لنا في الكبار معلم يقول :

سحر يتنفس في مباسط السهل ، ودوحة تميل ، وقطعة مني تتنشق عبير التراب فتطيّب انفاس الصباح

وارتفع صوتها بالبكاء
وانا ما سمعتها تتكلم الا وهي تبكي
كأنما البكاء اوائل الحروف في مسارب الابجدية
وارتشافة هي كل الارتواء في شدة العطش
اما البلابل فلا تعرف الدمع فقد تحول بكاؤها في حناجرها الى اوتار في حناجرها لتتحول اوتار حناجرها الى غناء ...

هذا البلبل عندنا في القفص يصدح في الجوع ، ويصدح في العطش ، ويصدح بين الشمس وحبة القمح وحبة الماء وعناقيد من الدوالي العالية .

فتحتُ له باب القفص فاطل برأسه وصفق بجناحيه ولم يخرج ومددت يدي اليه وطرته فحط على رأس القفص ، ثم حط على كتفي ، ثم حط على قفص القماش ، ثم رف ، وزقّ ، يحوم ويضرب باب القفص بمنقاره.
الفَ قضبانه كأنها اضلع منه مفتحة على اضلعه ، واحبّ بابه وكأنما بابه باب الانطلاق .
واحد وحده لا يألف القيد . هو هذا الطائر ، الانسان ، الذي لما يتحول دمعه . هو هذا الطائر ، الانسان ، الذي تيمم الجبل الثامن ليشاهد من وراء قممه العالية الملك العظيم .
واحد وحده لا يأنس الى القيد ، هو هذا الطائر ، الانسان ، الذي تتفتح في صفره على يديه اضواء الشمس وتتحبك خيوط الظلام
سأحبك لك جدائل من اجنحة العصافير
سأنسج لك رداء من غنائها المبكر
وسأسكب لك من مناقيرها شدوا وصداحا .

على اجنحة العصافير بين النسمة والنفحة كتب القدماء اخبار الشوق وبنوا على رماد عظامها اعمدة الامل في هياكل الشمس القديمة.

غدا عندما تكبرين سأعلم اصابعك النحيفة كيف تنتف ريش هذا البلبل الصداح وكيف تصطاد من وراء الجبل الثامن طيور الايكة البعيدة وكيف تصب من شفاه الاباريق المقدسة عصير التفاح وعصير الدوالي وماء الحياة .

الياس خليل زخريا

الليـــل في طيـبـــة

لكمـــال نشـــات

من رابطة النهـــر الخالد

القاهـــرة

في أخريات الليل ينتفض العبير
من باقة الليل الكبير
في « طيبة » الخضراء •• في مرج النجوم
حيث النسائم راقدات في أراجيح الغيوم
فوق الينابيع السخية بالخرير
أنغامها البيضاء •• تلثغ في سلام
وهناك فوق المذبح الظمآن •• أغنية تموت
من تمتمات حوّمت •• مزجت بقرقرة الحمام
من جهشة حرّى •• يرددها النساء
في الهيكل الغفوان في ضوء القمر
همس يردده النساء
العابسات •• كقرية تحت المطر
الباكيات على خطايا الاتقياء
بقلوبهن الطاهرات •• كدمعة الطفل الصغير
يبكين آلام المعذب •• والمشرد •• والضرير
وانامل الليل العجوز تهدهد الصمت الطليق
فوق الحقول
وتفك اجنحة العطور
لتطير شقراء الرؤى
ظمآنة •• حيث الشروق
والنيل حلم اسمر غاف على جدب الصخور
ونوافذ الاكواخ أغفت في حواشيها الزهور
والنور يزحف من مآقيها الرواني المتعبة
ينسّل كالمتسول الحيران في الليل المطير
يا خطوة الاسحار •• لا تتعجلي
لم يبق في هذا الدجى الا بقايا من حنين
تتسلق الافق الحزين
وتموت كالامواج عند الجندل
يا خطوة الاسحار فوق مزارع القمح المديد
الآلهات قد احتجبن عن الظهور
خلف الغمام الداكن الساري كأجنحة النسور
يبكين •• والنيل القرير •• يجمّع الدمع الشهيد
وهناك •• (اخناتون) في المحراب يرفع يأسه
ويذيبه في النور •• في النور الجديد

اغنيـة

بروفروك

لـ ت. س. اليوت

ترجمـــة

ديزموند ستيورت وبلند الحيدري

•

بغـــداد

★

لنذهبنْ اذن انا وانت
عندما يستلقي المساء على الفضاء
كمصاب بداء مخدر على مائدة
لنذهبنْ خلال بعض الشوارع نصف الخيالية
والتي تهمهم في عزلة
من الليالي المنهمكة
في فنادق رخيصة الليلة
ومطاعم تراكمت اوساخها لتزاح
شوارع تمتد كجدل ممل
جـدل يخادع
ليقودك الى سؤال ملجم
لا ... لا تسلني « ماذا هو »

★

في الغرفة النسوة ذاهبات جائيات
يتحدثن عن فنان ولوحات

★

الضباب الاصفر يحك ظهره بزجاج النافذات
الدخان الاصفر يحك بوزه بزجاج النافذات
ويمط لاحسا بلسانه عبر زوايا المساء
وبارتخاء يمر ببرك راكدة على المجاري
تاركا الهباب يتساقط من المدخنات على ظهره
وبقفزات مفاجئة يتسلل من الشرفات
انها ليلة ناعمة لاكتوبر .. ادرك ذلك
فدار على الدار واغفى

★

لا شك من وقت سيكون للدخان الاصفر
كي ينسل مع الشوارع
وهو يحك ظهره بزجاج النافذات
وقت سيكون وقت
لنجهز لنا وجها نستقبل به اوجها مستقبلة
سيكون وقت لتقتل وتخلق
وقت لكل الايام والاعمال للايدي
التي ترفع وتضع سؤالا في صحنك
وقت لك ووقت لي
وهناك وقت لمئات من الترددات
لمئات من خيالات ومراجعات
قبل تناول الكعك والشاي

★

لا شك من وقت سيكون
لا تسأل هل اتجرأ . هل اتجرا...؟
وقت لا تراجع واهبط السلم
مع صلعة في وسط راسي
« سيقلن .. لكم خف شعره »
سترتي الصباحية ، ياقتي
ممتدة بصلابة الى ذقني
رباطي ثمين ، محتشم ومؤكد بدبوس بسيط
« سيقلن كم هما نحيفتان
تلكما اليدان والساقان »
هل اتجرا ان اقلق الكون
في لحظة سيوجد وقت
لقرارات ومراجعات تنقضها لحظة
خبرتها كلها ، خبرتها كلها
الاضاحي ، الليالي ، الامسيات
لقد كلتُ حياتي بملاعق قهوة
خبرت الاصوات المائتة ، التي تسقط مائتة
تحت وطاة موسيقى غرف بعيدة
ترى بأي حق ادعي ... ؟

★

خبرتها تلك العيون
تلك التي تسمرك بلفظ مصيوغ
وعندما ساكون متسمرا ، متخبطا تحت مسمار
مثبتا اتلوى على الجدار
حينذاك كيف سأبتدي ...؟
لابصق اعقاب ايامي وعاداتي
وكيف يحق لي او ادعي .. ؟

★

خبرتها تلك الاذرع
اذرع مسورة ، عارية ، بيضاء
« لكنها في ضوء مصباح

تزغب بشعر كستنائي »
اترى عطر رداء ذاك ما يشردني
اذرع مطروحة على مائدة
او متدثرة بشال
فكيف لي ان ادعي ، وكيف لي ان ابتدي

✶

االقول ، اني تجولت في الهند
خلال الشوارع الضيقة
وراقبت الدخان المتصاعد من غلاين
لرجال وحيدين يطلون
بقمصانهم من النافذات
كان علي ان اكون مخلبين غير مشذبين
اخدش قيعان البحار الصامتات
وبعد الظهيرة ، ينام المساء بسلام
ممسدا بانامل طويلة
نائما ... تعبا .. ولعله متمارض
مطرحا على الارض ، هنا بجانبك وبجانبي
ايجب علي بعد الشاي والكعك والمرطبات
ان تكون لي القوة
على دفع اللحظة الى قمتها ..؟
وبالرغم من اني بكيت وصمت ،
بكيت ودعوت
وبالرغم من اني رايت رأسي « يصلع قليلا »
ويجلب على صحن
فلست نبيا ـ وما ذي بمشكلة كبيرة
لقد رايت لحظة عظمتي تضوى
ورايت البواب الازلي
يمسك لي معطفي ويغمز خلفي
وباختصار لقد كنت في خوف

✶

اترى كانت تستحق كل ذلك
كل تلك الفناجين ، المربى ، الشاي
كل تلك الاواني الخزفية
وحديث عليك او عليَّ
اترى تستحق
ان ابتلعها تلك القضية بابتسامة
ان اعصر الكون فاجعله كرة
ادحرجها لسؤال ملجم
وان اقول « انا اليعازر آتيا من الموتى ـ
عائدا لاخبركم ، سأخبركم بكل شيء »
وهناك واحدة
كانت تركن وسادتها تحت رأسها
وتقول « ليس ذلك ما اعنيه ابدا
ليس ذلك ابدا »

اترى كانت تستحق ، اتراها تستحق
كل تلك الامسيات ،
وواجهات الابواب والشوارع المرشوشة
كل تلك الروايات واكواب الشاي ،
التنورات التي تنسحب على الارض ـ
كل هذا واكثر منه ايضا ...؟
من المستحيل ان اقول ما اعنيه بالضبط
كفانوس سحري يسقط الاعصاب
في اشكال على الشاشة
اترى كانت تستحق .
وهناك واحدة
كانت تركن الوسادة او تنزع شالا
وتلتفت للنافذة وتقول
« ليس ذلك ابدا
ليس ذلك ما أعنيه ابدا »

✶

لا ... لست الامير هاملت
ولم يكتب لي ان اكونه
انني مجرد مرافق ، شخص ملائم
لزيادة العدد ، لتمهيد مشهد ومشهدين
ولنصح الامير وبلا آلة طيعة
خضوع ويسره ان يكون مفيدا
سياسي ، حذر ، دقيق
واحيانا مضحك حقا
يتشدق بكلمات رنانة وغبية
واحيانا مهرج تقريبا

✶

انني أهرم ... انني اهرم
وسألبس سروالي واعقف عقبه
هل اسرح شعري الى الخلف...
هل اتجرأ ان آكل خوخا
سألبس بنطلوني الابيض
واتهادى على الساحل
لقد سمعت الحوريات تغني بعضها لبعض
لا أظن انها ستغني لي

✶

رايتها تتجه الى البحر على الامواج
وتمشط الزبد الابيض المتطاير الى الخلف
عندما الرياح تقلب المياه سودا وبيضا
لقد تماهلنا في اجواف المحيطات
بجانب بنات البحر المتوجات
بالالق الاحمر والبني
ولسوف يوقظنا ضجيج البشر ... فنغرق

شفيق معلوف شاعر تداركته جن عبقر

بقلم نسيم نصر
استاذ الادب العربي في الثانوية الرسمية ببيروت



قد تكون خزانة الادب العربي الشعرية من أغنى خزائن الآداب العالمية ؛ ولكنَّ غناها ، كما أقرُّ ، مستند الى فيض من الغنائية لم يتناول ، الا لماما ، مجالي الخلق ومشارف الاساطير وقمم البطولات . لذلك نقع على متناقضات الحكم والرأي بين بعض اساتذة الدراسات الادبية العربية من مثل ما جرى للدكتورين عبد الوهاب عزام وطه حسين : فهذا ينفي ان يكون المتنبي قد بلغ ، في شعره ، أوجا ملحميا وذاك يؤكد العكس .

وبقي مثل هذا التناقض قائما حتى كانت الحركة الادبية الحديثة ، التي تفتح لها الشعر العربي على آفاق ، ان قلنا بانه داناها ، من قبلُ ، فاننا لا نستطيع ان ندعي انه خاض رحابها ومخر في عبابها ؛ فاذا بلقاح جديد يفعل فعله بالحرف العربي فينطلق ببعض شعره ، على ايدي نخبة ، ممن انعتقوا من قيود الانسياق الى ابعاد فيها من العمق كما فيها من السمو ما يدعو الى تناولها فعرضها حافزة الى الانطلاق داعية الى الاعتزاز .

وكان جلُّ هذه النخبة من جالياتنا عبر البحار ؛ نخص منهم بالذكر ادباء الرابطة القلمية في الولايات المتحدة والعصبة الاندلسية في البرازيل .

اما الشاعر الذي اعتمدناه مدار هذاالبحث فهو شفيق معلوف ، اخو فوزي ، صاحب « على بساط الريح » وابن المؤرخ الكبير عيسى اسكندر المعلوف . وعيسى هذا جذع دوحة باسقة عظيمة الفروع ، ليس بين اغصانها غير ذي الثمر والفيء .

وكانت لنا ، في جمعية اهل القلم ، امسية شعرية طلع علينا شاعرها شفيق ، شاعر « عبقر » بمنتقيات من شعره المنشور والمخطوط . فاذا هو صاحب رسالة في الشعر العربي يجدر بنا ان ننوه بقيمتها وان نبشر بأثرها وان نشير الى ابداعيتها خائضة رحاب خيال خلاق .

وقبل الاخذ بما عنينا نذكر ان لهذا الشاعر غير مجموعاته المطبوعة : « الاحلام » و « عبقر » باللغتين العربية والبورتغالية و « لكل زهرة عبير » و « نداء المجاذيف » ؛ له مجموعات أخرى شعرية ، معدة للطبع هي : « مجامر الصندل » و « على سندان الخليل » .

وله من الشعر المنثور « ستائر الهودج »
ومن التاليف المسرحي « ليلى الاخيلية »
ومن الشعر والنثر معا « شموع في الضباب »

ولكي يتساوق القول في يُسر ووضوح نعتمد دواوينه المطبوعة : عبقر ونداء المجاذيف ولكل زهرة عبير :

عبقر : من تناول هذا الديوان بالدرس شعر منذ الصفحة الاولى (« مقدمة عبقر » ان شفيقا يضطلع بمهمة جديدة في الادب العربي ، مهمة لا تمتد من نفس الشاعر الى ما حوله ولا تكتفي بما يحسه او يعقله ، فهو ينظر الى الشعر بمنظار الشاعر الجرماني ، ريلكي ، الذي ينكر ان يكون الانشاد قائما على الشعور وحده ؛ فالشعور خاصة بدائية يشترك فيها الاحياء جميعا .. يريد ان ينطلق الشاعر الى كل بعيد ؛ ليقبض عليه فيرتدَّ به الى جوانح الانسان وعاقلته . ثم تتفاعل قوى الشاعر لتخرج شعرا اجتمعت على اخراجه الثقافة الخلاقة والخيال الرحب والعاطفة العامرة .

وها هو شفيق معلوف يعرض لقارئ عبقر طوائف من الاساطير والخرافات العربية ، مشيرا الى ما شابهها عند الفرس واليونان والرومان والمصريين والبابليين والهنود والصينيين . فاذا انت معه في مطاف « عبقري » يبسط لك على دنيا الواقعية عوالم من الوهم والخيال ... واذا بالميتولوجيا ، علم الخرافات ، تبدأ اثرها البالغ في خيالك لتهيئك للانتقال الخلاق ، الذي يحبب اليك البطولات الوثنية والحوافز الاسطورية .

وفيما نحن ندعو الى قراءة تلك المباحث الاسطورية ،

التي وطأها شفيق لملحمته « عبقر » نرى لزاما علينا ان ندخل في هذا البحث الموجز ، شيئـــا مما ورد تحت عنوان : « تحليل كلمة عبقر » .

في العربية : منحوتة من حب وقر

وفي الفارسية : بمعنى الرونق والعزة والكمال

وفي اليونانية : بمعنى نيل ما وراء المكنة او بمعنى الحماية القوية واليد القديرة .

وكل ذلك من معاني الكمال والتفوق والقوة Génus والعبقرية تناسب كلمة Génie الفرنسية الانكليزية . فكأن الاصل الافرنجي مأخوذ من كلمة «جن» .

وقد وردت كلمة عبقر اسما لبعض الامكنة في بعض بلاد العرب . . .

وتقع عبقر ، ملحمة شفيق معلوف ، في اثني عشر نشيدا . أولها « في طريق عبقر »

يستهل الشاعر هذا النشيد بحسبانه نفسه نائمة تستيقظ على رؤى ؛ فيقول :

يا يقظة تنفض عن مقلتـــي اغفاءة طارت وحلمـــا نای
ان الضحى صعد انفاســـه على سراجي فغدا مطفا

وها هو مع الضحى ينطلق ليشهد على الربى عبث الارج العاطر بالنور وعناقهما والزهر . ثم تظهر له غمامة تحتها شيطان شعره :

غمامة بينا أراهـا اذا شيطان شعري تحتها سائر
كانه لما بدا خفيـــة قذفه من الثرى ساحـر
في فمـه من سقر جذوة منها يطير الشرر الثـائر
ووجهه جمجمـة راعني انيابها والمحجر الغائـر
كانما محجرهـــا كوة يطل منها الزمن الغـابر

. . . .

اقبل نحوي قائلا انني طوع لما يقضي بـه الامـر
اتيت والليل طوى ذيله فهم صباحا ، ايها الشاعر

ويمضي الشاعر في حديث ، مع شيطانه . فيقول هذا انه جاء من بقعة خافية يدعوها الشعراء عبقرا . ثم يأخذ في وصفها وصفا هائلا ويدعوه الى زيارتها ، ملحا ، زيارة لم يسبق اليها :

فقم وخض لجة ديجورها واعمل على تمزيق جلبابها
قم فترى كيف شياطينها تطل في عينيك من بابهـا
وكيف من غيل ثعابينهـا ينسل من فوهة سردابها
وانظرالىالغيلانفيوجرها تصم اذنيك بتصخابهـــا
حشدمن الوحش كانيبها ترتع من نفسك في غابها
او انها ، وهي عليك التوت ، تجلد جنبيك باذنابهـــا
شرورماضيك التي اقبلت تكشر في وجهك عن نابهـا
جمعها كر الزمـان الذي مر وفي صدرك القى بهـا

ويصل الشاعر على متن شيطانه ، الذي كأنه النيزك او اسرع ، حتى يتهاوى به الى موضع « ما راقـــه قبله موضع » . فاذا به بلد مرصود ؛ هو عبقر .

ولن انقل شيئا من « أبالس الابراج » لئلا اهدم من ضخامة بنائها العجيب او أغضب عجائب اشباحها وغرائب اقزامها .

اما عرئافة عبقر ، المصورة ، في صدر النشيد الثاني، شمطاء طواها الكبر :

تلف ثعبانا على وسطهـا يكمن في نابيه كيد القدر
مجامر الصندل من حولها تالب الجن عليهـــا ز مر
ينبعثالدخان من شعرها ويلتظي في مقلتيها الشرر

وهذه الشمطاء الهائلة التي زودها الله بكل ما في سقر ، هالها « ان يقلق الارواح مرأى البشر » ؛ فأرسلت حديثها داويا خال الشاعر ان الارض تحتـه اقشعرت ، وقالت في بعض عجبها من دخول انسان حماها المرصود :

وددت ، يا غادر ، لو انتـــي
اطلقت ثعبانـي لا ينثنـــي
عنـــك فيرديك ، ولكنني
اخشى على الثعبـــان من غـــــــدرك
في نابـِه السم كان وصـــار في صدرك
فليس هذا الصل بالافعوان
بـــل انت ، يا انســـان ،
فارجـــع الى وكـــرك .

ولا ينسى الشاعر المثقف ان يقويل العرافة ، في هذا النشيد ، بعض التوبيخ للانسان الممعن في شروره وغلوائه.

وبعد ان يمر ضيف عبقر في نشيده الثالث « حسرة الروح » بعرض مخاوفه على شيطانه ورغبتـــه اليه في الرحيل عن ذاك المكان الرهيب ، يطمئنه الشيطان ويدعوه الى سماع انشودة « تصفق الريح لالحانها . . . » انهـــا نفثات اميرة جن « مسّت بروح ليس من عبقر غادرها غرقى ببحرانها . . . » فأمست ذات جسد :

حلتها كالضوء شفافـــة عن بشرة تزيد اشعاعهـــا
كانمـا الشمس التي كورت من حلقات النور اضلاعهـــا
القت، الىالارض، بما ابدعت ليكبر العالم ابداعهـــــا

. . . .

من عالم الاجساد مبليـــة بنهمة تود اشباعهـــــا
لشهوة في نفسها طاردت في ظلمة الادغـال اتباعهـا
تعانق الارواح حتـــــى اذا خابت مضت تحمل اوجاعها

وهكذا يضع الشاعر على لسان الجنية المتجســـدة اغنية هذا بعضها :

ويحي ، من يشبع فيَّ النهـــم ؟
اكلمـــا استلقت على معصمي
روح فقربـــت اليهـــا فمـي
تملصت ... فـلم اقبّل ولم
اضم الا عدمـًا في عـــدم

ارايت كيف تعبر شهوة الجسد عن جوعها وظمأها ؟!

وفي النشيد الرابع ينبري سرحوب الاعمى ، القائـم عند نهر جهنم ، ليعير الناس بانهم هم العميان وهو البصير :

يـا ايها الهـانئون بـرؤيـــة الاسحـــار
والمالئون العيـون ببهجـــة الانــــوار

مـا كنتم تخبطون   في لجـة الآثـام
لـو انكم تبصرون   مثلـي في الظـلام

وننطلق مع الشاعر وشيطانه لنشرف عـلى وادي سنجين ، مقر ابليس وابنائه الخمسة وجنده الغفير . فاذا بنا نستطلع اولئك الابناء مشـيري الشر في الارض . فهذا « ثبر » :

بان لنـا ثبر
مسعـر الشرور
القـاذف البشر
بالويـل والثبور
عـلم أهل الغرور
كيف اللظى تستعر
فان رأى بعضهم
ببعضهـم ينتحر
اطلق بين القبـور
قهقهـة المنتصـر

واذا ما خمد لظى المعركة تخيل الشاعر ثبرا ، شيطان الحروب ، في شكله التالي :

حتى اذا ما الجنود
ما توا فدى الرايات
داس بقايا البنود
وطاف بالامـوات
فانتـزع القيـود
من ارجل العبـدان
ولفهـا تيجـان
على رؤوس الغـزاة

وهذا داسم ، ابليس النقائص ، ومزين الخبائث ، سحنة شيطان في منكبي غول يقول :

لما امحت الارض في زورة   استعرض النقائص العاريـة
الفيتها والناس قد مزقوا   اجسادها في فتنة دامية
فرحت اكسو بيدي عريها   بحلل براقة زاهيـة

ويستطرد الشاعر ، مصورا النقائص المقنعة مـن كبرياء واباء وعناد واستبداد وجشع وطمع وو... فبانت كلها يتوق اليها الناس قائلين :

طوبى لمن يرفـل مستمتعا   بمثل هذي الحلل الغالية

واما اعور ، ابليس الشهوة ، فسأمر بـه ، مسرعـا ، بانتظار « اناهيد » البغي في النشيد الحادي عشر ، مكتفيا بالاجتزاء من قوله :

شاراتي في العيـون   حريقة في الـدم
انـا مثير الجنـون   والفم لصق الفم
مـا انكا العاشقون   الا عـلى فمـي

ومن بين عبيد المال يطل « زلنبور » شيطان رقـهم ، « كفاه ميزان وراسه مكيال » ...

فكفة جوفـاء مملوءة   من ذهب وكفة خاليـة
شدت بها الارواح نحو العلى   فرجحت بالذهب الثانيـة

وبينما يبدي الشاعر حيرته متسائلا عن وجود ابناء ابليس في عبقر ، وهم للتراب ، قال له شيطانه :

ابناء ابليس مـا   جالـوا بميـدان
ولا امتطوا خيلهـم   للعـالم الثـاني
الا اذا مـا ركـب   مسـوط قدامـهم
يرفع بند الكـذب

وفي النشيد السادس يطلـع شيطانا الشعر : « الهوجل والهوبر » هذا صالح وذاك شرير :

فالهوجـل الشرير انى مشى   كانت ظلال الشؤم ما يزرعه
كانمـا اقدامه خلفـه   تسمر الظل فلا يتبعـه

. . . .

وهوبر الصالح يجري على   آثار ما يتركه الهوجـل
فيانس الوعر بخطواتـه   ويخصب المجدب والمحل

ويحلق شاعرنا في تصويرهما تحت عنوان « الغصن والنواة » اذ يرى الهوجل يكسر غصنا مثقلا بالثمار الفجة بينها واحدة ناضجة ؛ فيأخذ الواحدة فيأكلها ويبصـق نواتها . ثم يقول :

فلم اعتـم ان ارى الهوبرا
يلتقط النـواة مستبشرا
وينحنـي كانـه في صلاة
فينبش الثـرى
ويـزرع النـواة

وما كان ابرع شاعر عبقر ، في نشيده السابع ، عندما جعل هراء ، الشيطان الموكل بقبح الاحلام ، أن يتولى رؤيا امية بن أبي الصلت . تلك الرؤيا التي زعم فيها صاحب الاغاني : ان نام امية فانشق جانب مـن السقف ، واذا بطائرين قد وقع احدهما على صدره ، ووقف الاخر مكانه ؛ فشق الواقع صدر امية فاخرج قلبه فشقه . فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره : اوعى ؟ قال : وعى . قال: اقبِلَ ؟ قال : ابى . قال : فرد قلبه في موضعه .

ولعل افضل ما في هذا النشيد تساؤل امية ، وقـد راى قلبه كتلة دامية تطايرت منها الفضائل بعد ان الهبتها الشحناء ، فانتثرت هباء . قال :

أذاك قلبـي انـا   تالله ، قـل يا هـراء
اذا قلـوب الـورى   كانت وقلبـي سـواء
وكـان ما بي بهـم   لا كنت في الانبيـا

. . . .

حتى اذا امية اضحى   الوى بكفيه عـلى جنبه
فلم يجد دما ولا جرحا   لكن احس الجرح في قلبه

وينطوي النشيد الثامن على « حكمة الكهان » مصوغة على لساني « شق وسطيح » هذا لحم بلا عظام وذاك انسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . وهي حكمـة تأتي جوابا لقول الشاعر :

يا احكم الكهان في عالـم   نصبتمـا الدهر عليه رصد
يا كاهني عبقر هـل حكمة   أعدهـا للغد بين العـدد
ارسلها فوق رؤوس الورى   منشورة على غمام الجلـد
يلقفني موج التقادير او   اكتبهـا بالنار فوق الزبد

حكمة يختصرها سطيح في قوله :

يا واقف العمر على حكمة ... مركومة كالغيم خلف الجباه
الحكمة الحكمة في بسمة ... تمخض الهزء بها في الشفاه

اما شق فيراها قائمة في تشويهه: فهو ذو يد واحدة، لكي لا تهدم الثانية ما تشيده الاولى . وهو راض عن عينه المفردة اذ :

هيهات تستنير عين بعين ... ان لم تكن احداهما مغلقة

وهو لا يضره « نصف لسان وفم » لانه « لم يصل الى الحكمة لولا السكوت » .

وينهي شق كلامه مخاطبا الشاعر بقوله :

يا ايها الشاعر لا ترث لي !
سبحان ربي وهو رمز الكمال
اني لولا النقص لم أكمل ...

وهكذا تنفسح فلسفة الخلق حتى يتكشف ما وراء النقص من اسرار الكمال ، وما خلف شوه الشكل من باطن الحسن .

ولنا ، مع الشاعر ، في ثورة البغايا « النشيد التاسع » وقفة اعجاب ، « في غابة الحور » ، لنفتن بروعة هذا الوصف :

لله أشباح دفن الهوى ... لما تردين ظلام القبور
هذي كؤوس الامس يحملنها ... وهاجة وليس فيها خمور
هل النهود البيض الصقنها ... من نتف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطها ... اهي من الفجر بقيات نور
أم بقع منذ عناق الهوى ... تؤج فيها جمرات الثغور

حتى اذا عرضت لنا « ثورة في الجحيم » رأينا البغايا يتحولن الى طبيعة النار ، فيدسن الحديد المحمر ، ويقحمن البراكين ، ويلغن في الجمر ويغببنه ويبرمن اهل النار ؛ حتى :

« زج بهن الله في عبقر ... يبلو بهن العبقريينا »

ثم ننتقل ، بعد هذه اللوحة الهائلة ، الى « نشيد البغايا » فنستمر في الاعجاب بالابداع الفني ؛ ولكن لنتساءل : الا يرى الشاعر ، في تبريره البغاء ، تصرفا خطرا يقبح الجمال ويخطىء الله ، حين يقول البغايا الجميلات :

مذ خلع الله علينا المقل ... زودنا بنظرة ضائعة
وشهوة ملحة جائعه ... وبشرة هفافة للقبل ...

. . . .

ثرنا عليه حينما سامنا ... عسفا فلم نصبر على عسفه
قد حشد اللذات قدامنا ... وجيش العذاب من خلفه
أفتى بان نقوم في ربقنا ... بجزية العبد الى ربه
هو الذي أذنب في خلقنا ... وراح يجزينا على ذنبه ...

ولعل التصرف هذا ، وهو من باب « رواية حال بنات الهوى » في انطلاقة الخيال ، لا يقيد الشاعر بمثل اخلاقية ... !

وها نحن في النشيد العاشر نتلمس اسطورة العنقاء ماثلة في الغور تملأه ؛ فيدق جناحاها جداري وادي عبقر:

الليل يسرول ساقيها ، والنار تندلع من حنكيها ؛ معممة بالشمس مذنبة بالسيل ؛ عنقها زوبعة ... وخلفها فرخاها : الرخ والفينق . وما أروع خاتمة هذا الوصف :

فالوهم لما ان رأى ريشها ... كومة اظلال تبناها

وفي « الرخ او شجرة النبوءات » نستعيد طمأنينتنا الى ايمان الشاعر اذ يقول :

ودوحة باسقة خيل لي ... ان لها الشهب وريقات
تمنطق الخوف باظلالها ... ونورت فيها النبوءات

. . . .

ما نورها الا ابتهال وما ... نتاجها الا عبادات

وأما « محرقة الفينق (١) » فهي لوحة البطولة المشرقة عبر الاجيال ، تتجدد وتتوالد ، دون ان تخلق روعتها :

وفرخ عنقاء عقيد العلى ... فينق كم جرر ذيل الفخار
مكتويا محرقة شادها ... اكليل غار فوق اكليل غار
طينها بالطيب واحتلها ... فعبق الند بها والبهار
حتى اذا عرضها للضحى ... شبت بها من جذوة الشمس نار
فاحرقته ناره وانطوت ... امجاده في حفنة من غبار
كان من لم يلتهم نفسه ... بنفسه كان على المجد عار
تململ الرماد واعصوصفت ... زعازع الذكرى عليه فثار
زعازع بعد انقضاء المدى ... أطرن من قلب الرماد الشرار
نثرنه غلالة من لظى ... لبسها الفينق ريشا وطار

وعلى الرغم من كل هذه الاعاجيب ، في هذه المحرقة، وفي العنقاء والرخ ، فالشاعر لايراها كلها مدعاة للعجب ! وانما العجب في « الاوكار » الضيقة التي تأوي اليها طيور ضخمة كالرخ والعنقاء والفينق . فاسمعه يقول :

... بل لطيور مثلها ضخمة ... اوكارها الجماجم الضيقه

فكم وراء هذه « الاوكار » من آفاق خيال واغوار فكر ؟!

وفي النشيد الحادي عشر تبدو خرافة نصر بن دهمان ، الذي عمّر حتى خرف ثم عاد شابا فعاد بياض شعره سوادا ونبتت اسنانه بعد الدرد ، معقودة باسطورة الشعرى اليمانية والشعرى الشامية ؛ وما كان من بكاء الشامية على فراق اختها التي عبرت المجرة ، فعرفت « بالعبور » بينما عرفت ، هي الباكية ، بالغميصاء ، لان احدى عينيها عميت من كثرة البكاء .

وفي الوصل بين انسان ونجمين قال صاحب عبقر :

تسللت جنية ليلة ... فولجت خيمته سرا

وما كانت تلك الجنية سوى الشعرى الشامية ، التي:

الوت على نصر والقت له ... من دمعها في فمه درا
وسودت بكحلها شعره ... ونشرت لهاتها عطرا
حتى اذا اهوت بنيرانها ... تهرق في عروقه جمرا
عاد فتيا والتظى قلبه ... ففتح العينين وافترا

. . . .

سالها ! من أنت قالت أنا ... انا الغميصاء انا الشعرى
اختي اليمانية اخلت يدي ... وعبرت للضفة الاخرى

---

(١) في الاساطير اليونانية ان الفينق طائر خرافي يقطن في الصحاري العربية ويعمر اجيالا كثيرة ، وكان يحرق نفسه حيا ثم ينبعث من رماده نفسه .

والجن بعدي التقطت ادمعي ونظمت عقودها الحمرا
تسائلني ، يا نعر، من ذي انا اني انا حياتك الكبرى
انا شباب المرء في شيبه انا انا جنية الذكرى

أما اناهيد (١) فهي حكاية الازل الجامعة بين شهوة المرأة وعفافها ، وبين تمرغها في حمأت الفجور وتساميها الى آفاق الطهر . عثر المعلوف على نواة لها فمد منها دوحة كلها ظل وجنى ... قال :

كانت اناهيد بغيا متى غفا بفرعيها الفتى يسكر
تقطر الخمر بكاساتها لفتية الحي وتستقطر
ولم يكن الا جحيم الهوى وسادها الملهب الاحمر

• • • •

مر على خيمتها فارس تبارك الطيب الذي ينشر

وكان مرور ذلك الفارس ذا قوة فاعلة قادرة عجيبة، ذكرني بقول جبران ، على لسان المجدلية بعد ان رات يسوع، « لقد قتلت عينا ذلك الشاب الوحش البشري القائم فيَّ . »

فاناهيد البغي « أيقظها ركض جواد جرى من بابها محمحما يدبر ... فزاحت الستر وراحت على اثره ... تضرب في البيداء حتى :

« لاح لها من جانب المنحنى مارج نار ضوءه يبهر »

وما كان ذلك الفارس غير « هبل الاكبر » جاء يعاقب العهر ويجعله عبرة .

حلت اناهيد له شعرها وانطرحت تبكي وتستغفر
وتسال الاله في ذلة لو غدها من امسها يطهر
فيخلد الحب على جفنها وينطوي في قلبها المنكر
فمال عنها هبل قائلا والرفق من جبينه يقطر
حبك يا هذي كما شئته قلب السماوات به اجدر

• • • •

واندلعت نار تلوى بها ملء البوادي عاصف صرصر
وغل في صدر العلى حاملا روح اناهيد اللظى المسعر
وشعفي السماء قبل الضحى على البرايا كوكب نيِّر
تلك اناهيد لها من عل عين على اهل الهوى تسهر

وهنا جلى الشاعر في ميدان المُثل الاخلاقية مستعينا بعبارة صغيرة اوردها الجاحظ ، وهي لا تغني لولا غنى صاحب عبقر بمواهبه الخلاقة .

وهناك ، على حدود عبقر ، استشرف الشاعر ، وهو في طريق عودته ، فاذا يرى جماجم ورمما بالية فيصفها قائلا :

كانما الموت وقد قام عن خوانه خص الثرى بالفتات

ولست أدري ، بعد هذه الصورة الواضحة ، لماذا يسال شيطانه ليخبره بامر هذه الرفات ؟! ولعله احب ان ينتهي الى هذا التاكيد الساخر :

فقال لي وقد لوى عنقه هذا الذي تلده الامهات

وكأني بشفيق معلوف لا يرضى ان تكون رفات الشعراء العبقريين « فتاتا خص به التراب » ؛ فجسومهم تستأثر بها عبقر ينقلها اليها شياطينهم . وهي هناك :

« هياكل عظمية مهدها عصر مضى وقبرها اعصر »

وتلك الهياكل ، كيف يعود من جوارها دون ان يستوحيها همسا دعاه « همس الجماجم » نجتزىء منه ، ولا نقول نتخيَّر ، فكله رائع :

عشنا مع الناس دهرا نحلم بالشباب
واليوم ، والعمر مرا وضمنا التراب
نعيش فيهم بذكرى احلامنا العذاب
احلامنا نحن !! فقل للالى
شادوا لنا الانصاب اكبارا
احلامنا كن لطافا فلا
تصيِّروا الاحلام احجارا
قل للالى ، يقرع صدر اللحود
ازميل حفارهم
ارواحنا تبني قباب الخلود
بغير احجارهم
وتحدج الوجود
بغير ابصارهم

وهكذا نصل الى الابيات الاخيرة من ملحمة عبقر ونحن نرافق الشاعر معلوفا مرافقة نستملح فيها الفن ونستروع الخيال فتأخذنا دهشة الاعجاب بالابداع ومجالي النشيد الرحيبة .

اما ملاحة الفن فقائمة في هذا التصرف اللبق بالاوزان الشعرية تنفتح لالتزام الاسماء وتندمج فيها الصور منساقة لريشة شاعر امتازت ببث الحركة والنشاط في مصوراته بثا فريدا يدلل بقدرة على اللغة وطاقة بموسيقى الشعر جعلتا منه مبدعا متماسك السمو حتى آخر عبقره ؛ اذ قال عن الحب :

فهو الذي كل اماني الحياة
يفتر في ثغره
وكل ما في الارض من ذكريات
يغفو على صدره

• • • •

لا تستطيب النجوم غير تهاليله
وليس تبكي النجوم في غير منديله

واما الخيال ، وهو جناحا الشاعر القويان ، اللذان « تداركتهما عبقر » بريش من خلودها ، فقد كان مركب شفيق الذي حلق عليه الى رحاب الملحمة وعاد منها ، وعلى راسه غار العبقريين الذين « تبني ارواحهم قباب الخلود » . ولكنه ، هو ، جسَّد وشبَّح فكان لقباب خلوده من مرئيات الوهم ، الذي « رأى ريش العنقاء كومة اظلال فتبناها » ، ما زاد بقوة الخلق التي نراها ميزة صاحب عبقر الكبرى .

هذا ما نتنهي اليهُ في عبقر . وقد يكون في بعض شعره في « نداء المجاذيف » « ولكل زهرة عبير » ما يروق طائفة من الادباء ومتذوقي الادب ودارسيه اكثر مما راقهم من « عبقر » .

نسيم نصر

---

(١) جعل العرب الزُهرة امراة بغيا مسخت نجما وكان اسمها اناهيد . « عن الجاحظ »



بقلم شاكر خصباك

✳

لقد كانت الازقة الضيقة الملتوية صامتة لا اثر فيها للحياة . وكانت الاعمدة الكهربائية الصدئة تبدو في النور الخافت كأشباح مخيفة . وكان السكون عميقا ، يثير الرهبة في القلب ، وسرى حمادة مسرعا دون ان يتلفت حواليه . ولم تقع عيناه على انسان ، سوى حارسين ، كان احدهما متجمعا على نفسه في عطفة صغيرة وقد غط في النوم ، وكان الثاني مختبئا في دهليز بيت قديم . ولم يلمح اي كلب أو قط ينبش في فضلات الاطعمة واكوام الاقذار المنبثة في زوايا الازقة، واسلمه (زقاق السماك) الى شارع البلـدة الرئيسي فاستقبله هواء قارس يهب من النهر . والتف حمـادة بسترته واسرع الخطو وهو يفكر في حيرة بالطريقة التي يقنع بها الدكتورة سلمى بمرافقته الى البيت . من المحتمل ان تطرده حالما تراه . وربما طالبته بالاجر المتبقي عليه من زيارته السابقة . وما ذا سيقول لها لو فعلت ؟

وامتدت يده الى جيب سترتـه الداخلي تتحسس كيس النقود . ليس فيه سوى دينارين ، وكان ينـوي اعطاءهما الى الحاجة صبورة ، ولكنه لن يعطيها شيئـا . وماذا فعلت لنعيمه ؟ انها تقاسي منذ ساعات الصبـاح الاولى ولا أثر للوليد . واذا لم تنجدها الدكتورة سلمى فالله الساتر ! لا بد ان يقنعها . سيشرح لها خطورة حالتها، وربما لان قلبها ... ولم لا يكذب عليها ؟ لم لا يزعم أنـه يملك اجرها حتى اذا ولدت نعيمة اعطاها ما يملك ؟

واطمأنت نفسه الى هذا القرار ، وانبسطت اساريره المقطبة ، واتسعت خطواته . وتساقطت على وجهـه قطرات من المطر ، فرفع راسه الى السماء ، فاذا بها قطعة سوداء لا أثر فيها للنور . وبلغ منزل الدكتورة فوقف تحت الشرفة مترددا ، وعاوده الخوف والقلق . وتخيل جسد الدكتورة الضخم ووجهها السمين ، ولم يستطع أن يتصور عطفها عليه .

تقدم من الباب وضغط الجرس فرن رنينا قصيرا ، وانتظر دقائق فلم يجب احد . وكرر الضغط ، فتساءل صوت ناعس من أعماق الدار : من ؟

فهتف مرتعش الصوت : أنا ... مريض .

ففتح الباب ، وظهر خادم الدكتورة . فقال حمادة في استعطاف : الله يرحـم موتاك ، أيقظ الدكتورة .. عندي مريض حالته خطرة .

فقاده الخادم الى الصالة ثم قال : اجلس هنا .

وغاب الخادم ، فجلس حمادة على أحد مقاعـد الصالة ، واحس بشيء كاللهب يتوقد تحته . فنهض وأخذ يقطع الصالة رواحا وجيئة ، ولاحت الدكتورة بجسدهـا الضخم وقد تدثرت بروب صوفي ابيض اللون . كـان شعرها الاسود الوحف يتناثر حول وجهها السمين ، وكانت عيناها ما تزالان مغلقتين نصف اغلاقة .

قالت وهي تنظر حواليها متثائبة : اين المريضة ؟

فأجاب حمادة بصوت وجل : انها امراتي يا دكتورة . تعسرت ولادتها منذ الصباح .

فتساءلت الدكتورة في اهمال وهي تتثاءب : ولمـاذا لم تجيء الي قبل الان اذن ؟

فلزم حمادة الصمت . قالت الدكتورة وهي تستدير بجسدها الضخم : انتظر قليلا .

ووضعت قدما خارج الصالة ، لكنها استدارت نحوه فجأة ، وتفرست في وجهه ثم تساءلت في ارتياب : الـم تجلب الي زوجتك من قبل ؟

فتلفت حمادة حواليه في ارتبـاك ، وظل صامتا . فقالت الدكتورة في خشونة وقد تقطب وجهها : اسمع . انا اتقاضى على هذه الحالات اربعة دنانير ، والدفع مقدما. هل معك هذا المبلغ ؟

ابتلع حمادة ريقه ، ونقل نظراته الحائرة بينها وبـين الخادم ، ولم يجب .

فقالت الدكتورة في امتعاض وهي تتهيأ للانصراف : لماذا تقلق راحة الناس وتوقظهم من نومهم ان لم يكـن معك اجرهم ؟

وغادرت الصالة وهي تدمدم فلبث حمادة جامدا في موضعه وعيناه مسمرتان على باب الصالة . وربت الخادم على كتفه وقال : اذهب الى الدكتور سامي في الشارع

المجاور . انه أختصاصي في الجراحة والتوليد ايضا فخرج حمادة يجر قدميه جرا .

وظل دقائق طويلة واقفا تحت شرفة المنزل وانظاره مسمرة على باب الدار . كان يتوقع ان يخرج الخادم اليه ويستدعيه ثانية ، لكن انتظاره طال ، والصمت جاثم حوله. وانطفأ النور في نوافذ البيت وغرق في الظلام .

سار حمادة في الشارع متلكأ. ماذا سيفعل ؟! وومض البرق فجأة واضاء الشارع بنور ساطع ، واعقبه رعد قاصف، ورفع رأسه الى السماء فاذا الظلام مطبقا عليها . وبدت صفحتها كالحة كئيبة . انه لا يستطيع ان يذهب الى الدكتور سامي .. حتى لو كان مصير نعيمة موكولا به. كيف يسمح لرجل ان يولد زوجته ؟! ان شرفه اثمن من حياة نعيمة وحياته وحياة اي انسان !

واشتد انهمار المطر وابتل (تيماغه) ، وسالت قطرات المطر على وجهه وعنقه. فخلع سترته ووضعها على راسه، ولبث يسير متلكأ .

ان الدكتور سامي طبيب على أية حال . وجميع الناس يقولون ان امر الطبيب غير أمر الرجل الاعتيادي . وهم يقضون اعمارهم في الدراسة ليقوموا بمثل هذه الاعمال . ولو كانت مخلة بشرف الناس لما اتعبوا انفسهم بدراستها ، ولكن لو احتاط للامر واقترض مبلغا من زميله يحيي الصفار لاصطحب الدكتورة سلمى الى نعيمه وهي مرغمة.

انعطفت قدماه في الشارع المجاور ، وتوقف امام منزل الدكتور سامي . كان ثمة شعور اليم يمزق قلبه . وامتدت يده الى مدقة الباب ، واطل رأس امرأة من نافذة علوية ، وتساءل صوت رفيع : من ؟

ــ انا خاتون .. اريد الدكتور .. تعسرت ولادة امرأتي منذ الصباح .

ــ الدكتور مسافر .

ــ والله تركتها في حالة خطرة يا خاتون .

غاب الرأس وراء النافذة لحظات ، ثم ظهر ثانية .

ــ اذهبها الى المستشفى، فيعملون لها ما يلزم هناك.

واختفى الرأس ، واغلقت النافذة ، وظل حمادة مسمرا في موضعه ، كيف يستطيع اصطحابها الى المستشفى في مثل هذا الجو ؟

وهرول في الشارع الموحل غير مالك وعيه . كان المطر ينهمر فوقه كالسيل . وتسربت المياه الى ظهره وصدره ، والتصق ثوبه بجسده ، وامتلأ حذاؤه الممزق بالمياه . اين يجد عربة في مثل هذه الساعة ؟ وكيف تقوى نعيمة على السير ؟!

وابطأت قدماه ، ثم توقف ، وتلفت حواليه حائرا ، ثم ومضت في ذهنه خاطرة ، فانبسطت اسارير وجهه ، وعاد يركض بكل قواه ، كانت الرياح تصفع وجهه بعنف ، وقدماه تغوصان في الوحل ، ولم يكن ثمة أثر للحياة حواليه .

بلغ المنزل فدخل وهو يحبس انفاسه . واشتد خفقان قلبه ورهف سمعه . وتناهت اليه تأوهات نعيمة مختلطة باصوات نسوة الجيران وهن يرددن في نغمة واحدة : (علي .. علي .. علي .. استعيني « بأبو الحسن» استعيني « بأبو الشدائد ») . وصاح حمادة وهو يلهث : حجية صبورة .. سآخذ نعيمة الى المستشفى .

فهتفت الحاجة صبورة بانزعاج: تأخذها الى المستشفى؟ ولماذا ؟! سيجيء الولد حينما يشاء الله، ماذا يفعلون لها هناك ؟

فصاح وهو ينتفض غضبا : هيئيها بسرعة .. سآخذها معي حالا .

وهرع الى غرفته وغيّر ملابسه المبتلة بعجلة ، وشد حول وسطه نطاقا جلديا عريضا ، ثم خبط على جدار الغرفة المجاورة صائحا : انتهيت ؟

فصاحت الحاجة صبورة : تعال .

مضى الى الغرفة المجاورة خافق القلب ، كان نسوة الجيران الثلاث محيطات بنعيمة وهن متلفعات بعباءاتهن الصوفية الزرقاء ، وقالت احداهن لائمة : كيف ستوصلها الى المستشفى في هذا البرد والمطر يا (ابو غايب) ؟

فلم يعرها التفاتا ، وتقدم نحو نعيمة باسما . كانت نعيمة جالسة على فراش قذر ، وقد عصبت راسها بعصابة بيضاء ، والتفت بعباءة زرقاء ، قالت بصوت خائر وهي تحاول النهوض : سأموت يا حمادة .. سأموت .

فقال حمادة برقة وهو يعاونها على النهوض : توكلي على الله يا نعيمة ..

تأوهت نعيمة وهي تستند الى ذراعه وقالت متوجعة: سأموت في الطريق يا حمادة .. انا ادري انني سأموت .

فقال حمادة وهو يثني ركبتيه : توكلي على الله يا نعيمة .. توكلي على الله .. سأحملك على ظهري .

شبكت نعيمة ذراعيها حول عنقه وساعدته الحاجة صبورة على النهوض وهي تدمدم غاضبة ، فاستوى على قدميه . وتأرجح حمله لحظة ، ثم سار بخطى ثابتة . واستقبلتهما الريح الباردة خارج المنزل ، وانهمر المطر فوقهما . وسرى حمادة في بطء وهو يتلمس مواضع قدميه في الوحل ، كان احساسه بثقل حمله يشتد بين لحظة واخرى ، لكنه عض على يشماغه لئلا يفلت منه اي صوت ، وكان يرفع راسه الى نعيمة بين حين وآخر متسائلا : كيف حالك الان يا نعيمة ؟

فترد عليه متجلدة : الحمدلله .

وراحت الرياح تصفع وجهيهما بقوة وابتلت عباءة نعيمة ، وسحّت المياه منها على وجه حمادة ، ثم تسربت الى صدره ، ثم ظهرت على ساقيه العاريتين ، وارتعش جسد نعيمة فوق ظهره ، وتصيدت أذناه آهاتها المكتومة. لكنه ظل يجد في سيره وهو يؤمل نفسه بالوصول . وفجأة صكت سمعه صرخة حادة ، فتوقف عن السير وتساءل مرعوبا : ماذا بك يا نعيمة ؟

فقالت نعيمة وهي تحاول عبثا كتم تأوهاتها : أنزلني هنا ياحمادة .. انزلني ، سيميتني وجع ظهري .

فاوسع خطواته نحو شرفة مجاورة ، وثنى ركبتيه فانحدرت نعيمه في صعوبة عن عاتقه . وقال بلهجة ضارعة : قطعنا اكثر من نصف الطريق يا نعيمة .. توكلي على الله .. بعد قليل نصل المستشفى .

جلست نعيمة على عتبة المنزل وهي تئن وتتلوى . وسحت المياه من عباءتها وملابسها وسالت في مجار صغيرة على عتبة الدار ، ثم تجمعت في بركة على الارض ، قالت نعيمة وهي تعض على شفتيها وتتلوى : لن أصل الى المستشفى يا حمادة .. سأموت هنا ، عيني حمادة ، ما العمل؟ انا لا اريد ان اموت .. هل ستتزوج غيري يا حمادة؟

فقال حمادة بصوت مرتعش : توكلي على الله يا نعيمه .. توكلي على الله ومحمد وعلي . وانهمرت دموعها وراحت تضغط على بطنها متأودة ، وقد رسم الالم الحاد على وجهها تعبيرا مزيجا من الحيرة والذهول . ظل حمادة ينظر اليها تارة ويتلفت حواليه تارة اخرى وهو لا يدري ماذا يصنع . كان متعبا ، بردان ، متألما لكن الهم اذهله عن كل شيء . ثم لاح له فجاة ان هذا الكابوس سيرتفع عن صدره حالما يصل المستشفى . فقال مختلج الصوت وعيناه تتضرعان الى نعيمة : توكلي على الله ودعيني احملك يا نعيمة .. لم يبق من الطريق شيء .

فلبثت نعيمة تترنح دقائق ثم همست : احملني ، ولكن لا تحركني .. اخاف ان يميتني الالم .. انا لا اريد أن أموت .. عيني حمادة ، انا لا اريد ان اموت . أريد ان ارى ولدي .

ـ توكلي على الله يا نعيمة .. توكلي على الله .

وحملها بحذر ، واستأنف سيره البطيء ، وعادت الرياح تصفع وجهيهما وسيول المطر تنسكب فوقهما . وتحول الشارع الرئيسي الى نهر صغير ، فخلع حمادة حذاءه ، وراح يخوض المياه حافي القدمين . وكانت المياه تسح باستمرار من عباءة نعيمة على وجهه ، وتكاد تحجب الطريق عن عينيه ، وكان التعب قد انهكه ، والصداع الحاد قد شتت ذهنه ، وتراءى له ان الطريق لن ينتهي ابدا ، وان النهار لن يطلع ، وانه سيظل يخوض الاوحال في وحشة الليل وقسوة الريح والبرد بقية عمره !

وانبعثت فجاة صيحات الاستغاثة من نعيمة ممزقة وحشة الليل . وانطلقت تردد وهي تبكي : متى نصل يا حمادة ، متى ؟

وفقد حمادة الامل بالوصول ، لكنه ظل يجيبها مشجعا : توكلي على الله يا نعيمة .. توكلي على الله، وظلت قدماه تخطوان الى الامام في يأس محموم . ولاحت بناية المستشفى اخيرا ، فتسمر حمادة في مكانه كالمصعوق ، وصرخ غير متمالك نفسه : وصلنا يا نعيمه ، وصلنا .

كان الصمت يخيم على بناية المستشفى ، وكان ثمة نور شاحب يتهافت من وراء النوافذ ، وانحدرت نعيمة عن ظهر حمادة وجسدها يرتعش بشدة ، وجلست القرفصاء في المدخل . وهمست: الحقني بالطبيب يا حمادة . . الحقني .

فهرول حمادة في اروقة المستشفى على غير هدى . كانت وحشة قاتمة تسود المكان ، ولم يكن ثمة أثر لانسان ، وفتر حماسه قليلا ، قليلا ، واخذ السرور يغيض من قلبه. وتوقف عن سيره لحظة حائرا ، ثم عاد يذرع الاروقة في لهفة وقلق . ولاح لعينيه اخيرا شبح يرتدي البياض فهرع نحوه فرحا وسأله : اخي ، اين الدكتور ؟ أريد ان يرى امراتي .. تعسرت ولادتها منذ الصباح .

فسأله المرض : وأين هي الان ؟

فقال وهو يتقدمه في السير : هنا في المستشفى . القى المرض على نعيمة نظرة عاجلة وقال وهو ينصرف : ساخبر رئيسة المرضات .

وطالت غيبة المرض ، فجعلت نعيمة تردد في مرارة وانزعاج : سأموت قبل ان يأتي الدكتور .. لماذا لم تدعني أموت في بيتي يا حمادة ؟ لماذا ؟!

ولزم حمادة الصمت . كان يقف الى جوارها وهو يلتهب غيظا ، ولم يجرؤ على الكلام . هذا الحين خيل اليه ان اية كلمة تصدر من بين شفتيه ستزيد من آلام نعيمه .

وحضر المرض اخيرا بصحبة شابة ذات قوام فارع ووجه ناصع البياض والقت عليها الشابة نظرة باردة ثم قالت له : انقلوها الى غرفة العمليات .

واختفى المرض دقائق ، ثم ظهر بصحبة ممرض آخر ومعهما « نقالة » وحملا نعيمة الى غرفة العمليات ، فتبعهما حمادة وقد استولى عليه فجأة وجل شديد . وأغلقا الباب وراءهما دون ان يسمحا له بالدخول ، فوقف بجوار الباب وقد استبد به القلق . وحضرت المرضة وبرفقتها شاب رقيق الملامح يضع على عينيه نظارة بدون اطار . وفتح الباب لهما ، فدخلا واغلقه وراءهما ، ووضع حمادة اذنه على شق الباب وانصت وقد تسارعت ضربات قلبه . كانت تأوهات نعيمة تترامى الى سمعه ضعيفة خائرة . خرج الطبيب بعد دقائق وسار متباطئا حتى اختفى في رأس الرواق . ثم خرجت المرضة في اعقابه ، وتبعها حمادة خافق القلب ، لكنه لم يجسر على الكلام . ثم قهر تردده وتساءل بلهجة متعثرة : سستر هل ستلد الان ؟

فأجابت المرضة دون ان تتوقف عن سيرها : الطبيب الخفر لا يتمكن من اجراء العملية ، وسيخابر رئيس الصحة ليأتي ويفحصها بنفسه .

فهتف حمادة في سخط غير متمالك نفسه : كيف يتركها في هذا الحال حتى يأتي رئيس الصحة ؟ انها تتألم منذ الصباح .

فنظرت اليه المرضة في تعال وقالت في فتور :

وماذا يعمل لها ؟

وواصلت سيرها وقد تعكر صفاء وجهها الجميل ، وجمد حمادة لحظة في موضعه ، ثم جر قدميه عائدا الى غرفة العمليات . والصق اذنه على شق الباب وانصت بكل جوارحه . فخيل اليه ان نعيمة تناديه مستغيثة ، فانتفض كالملدوغ ، ودفع الباب بكل قواه ، فلم ينفتح . فهرع الى راس الرواق ، ومد بصره في الفناء ، فلم ير احدا . فرجع الى غرفة العمليات . وطفق يهمس جزعا : يا رب الرحمة . . يا رب الرحمة . . يا رب الرحمة .

ولم يدر ماذا يصنع . وخرج الممرض من غرفة العمليات ، فاعترض طريقه وتساءل ضارعا : اخي من فضلك متى يجيء رئيس الصحة ؟

فاجاب الممرض : والله يا اخي ، لا ادري .

فتساءل حمادة في صوت فيه رنة بكاء : لماذا لا يعالجها الطبيب الخفر ؟

فمط الممرض شفته السفلى ورفع حاجبيه ، ولم يتكلم . وقال حمادة في مرارة وقد الهب اليأس وجهه : ربما ماتت قبل ان ياتي رئيس الصحة .

فكر الممرض لحظة ثم قال : اذهب الى الطبيب الخفر واساله ان يجري العملية على مسؤوليتك .

ــ دلني عليه ، رحمة الله على موتاك .

وقاده الممرض الى غرفة في اقصى الممر الايمن ذات باب نصفها الاعلى من الزجاج السميك . فوقف امامها مترددا . كان ثمة ضحكات ناعمة تنطلق من وراء الزجاج . ونقر الباب ، ومرت دقائق ، ثم فتح وظهر الطبيب الانيق . ولاحت الممرضة الجميلة في اقصى الغرفة .

فسأل الطبيب بلهجة جامدة : نعم ؟

فقال حمادة بصوت متلعثم : امراتي يا دكتور تقاسي منذ الصباح .

فقال الطبيب بلهجته الجامدة : سياتي رئيس الصحة ويعمل لها اللازم . فبلع حمادة ريقه وتساءل بتخاذل : الا يمكن ان تجري لها العملية بنفسك يا دكتور ، رحمة الله على موتاك ؟

فقال الطبيب دون ان يتغير صوته : انت جلبتها لنا وهي في حالة خطرة جدا . سيأتي رئيس الصحة ويعمل اللازم . انا لا استطيع عمل شيء .

فقال حمادة باستعطاف : الا يمكنك ان تجري العملية على مسؤوليتي يا دكتور ؟

فنفذ صبر الطبيب الشاب ، ومر يده على شعره المهندم ، وقال بلهجة حازمة : هذا امر غير ممكن .

فهوى حمادة على يده يحاول تقبيلها ، لكن الطبيب الانيق سحب يده في اشمئزاز وغمغم : جهل . . جهل . . !

واطبق في جهه الباب . ثم سمعه يهتف حانقا : ان رئيس الصحة يقضي لياليه في لعب الورق ، ونحن نتلقى هنا سخافات الجهلاء .

جر حمادة قدميه ، وتهاوى بجوار غرفة العمليات . وتذكر ما عاناه من جهد في الوصول بنعيمة الى المستشفى وايقن أن نعيمة كانت محقة في لومها . فلو ماتت الان فسيسلمونها له جثة مشرحة . وهجم عليه فجاة البرد والاعياء دفعة واحدة ، وشعر بالام حادة . وخيل اليه انه كان طيلة هذه الساعات عرضة لضربات عشرات الهراوات .

وكانت تأوهات نعيمة تبلغ مسامعه ضعيفة خائرة . وكان يتخيل ان ثمة بحارا شاسعة تفصل بينه وبينها ، وانه لن يستطيع اجتياز تلك البحار ابدا ، وغشيه رويدا رويدا يأس غريب سرى في جسده كالمخدر ، فاستسلم للخمول .

وتسللت انوار الفجر عبر نوافذ المستشفى ، واختلطت بانوار المصابيح ، ولم يعد حمادة يفكر بنعيمة او بالطبيب الخفر او برئيس الصحة .

كان ثمة قصر عظيم تحيط به حديقة غناء . وكان في القصر بهو عظيم يكتظ بالارائك الفخمة ، ويتدلى من سقفه ثريات ساطعة . وكان هو يتمدد على اريكة ذات افرشة حريرية فاخرة وقد اكتسى بالملابس الغالية . وكانت نعيمة تجلس بجواره ، وهي تبدو كحور العين ، حاملة كاسا ذهبية تسقيه من شرابها الحلو ، ومر امامه اشخاص يرتدون البياض ، ودخل بعضهم غرفة العمليات ، وخرج بعضهم الاخر ، واشتدت الحركة من حوله ، وكان يحاول باستمرار ان ينتزع نفسه من جموده ، لكن رأسه ظل يسقط على ركبتيه بعناد .

وفز فجأة على هزات عنيفة ، وفتح عينيه فرأى الممرض ورئيسة الممرضات يقفان امامه . فقفز على قدميه وتساءل بلهفة : هل جاء رئيس الصحة ؟

فتبادلا نظرات صامتة ، ثم قالت الممرضة : اهنئك . . جاءك ولد .

فهتف حمادة في سرور غامر : بشرك الله بالخير والبركات يا سستر وامه كيف حالها ؟ فعادت الممرضة تتبادل النظرات الغريبة مع الممرض ، ثم قالت بلهجة مترددة : البقية في حياتك .

فخيل لحمادة ان مطرقة ضخمة تهوي على راسه وتبعثر مخه . وخارت قواه ، واستبد الضعف بساقيه فلم تقويا على حمل جسمه ، واستند الى الجدار لئلا يسقط .

واستفاق من ذهوله فوجد نفسه وحيدا بجوار غرفة العمليات ، وفي لحظة تذكر كل شيء ، لكنه لم يحرك ساكنا . وظل متربعا في مكانه وقد عاوده خموله ، ثم تساءل في عجب واستغراب : وماذا اصنع بالولد بدون امه ؟

بغداد — شاكر خصباك

في قريتي

✳

لعيسى الناعوري

•

عمان

✳

في قريتي حيث الربى تغرق في الجمال
وتطفح الوديان بالمياه كاللآلي
فترضعُ الحياةَ من نميرها الزلال
الزهرُ والاعشابُ والاشجارُ والدوالي
وترتمي من حولها أجنحة الظلال
فوق عروق النرجس الحيَّة
والزهر ذي الروائح الذكيَّة

في قريتي الجبال والسهول
تعجُّ طول اليوم بالقطعان
وتسكر التلال والحقول
من الثغاء الرائع الالحان
ومن أغاني ناية الرعيان

* * *

والفجر لا يطلع في قريتي
حتى يشاء الديك ان يطلعا
يهتف في أسماعه داعياً :
«كوكو» ! فلا يلبث ان يسطعا
فتفتح القرية أجفانها
تستقبل العيش ليوم جديد
وجوقة القرية ، تلك التي
تعزف نفس اللحن منذ الوجود،
تأخذ في ترديد أنغامها :
فينهق الجحش ، ويثغو الحملْ
والكلب يجلو بالنباح الكرى
والعجل يمحو بالخوار الملل
وترسل الطير أغاريدها
تحيةً لمولد الفجرِ
أحلى من الترتيل والشعرِ

* * *

ولا يرقد الليل في قريتي
اذا لم يهدهده لحن النقيق
تضجُّ السيول به والعيونُ
فتنعسُ حتى عيونُ الطريق
كأن صداه اذا ما تعالى
تراتيلُ من قلب دير عتيق.

* * *

والشمس فوق قريتي في الصبح او عند الاصيل
ذاتُ بهاء لا أرى في غيرها له مثيلْ
تضحك من مشرقها حتى يواريها المغيب
ترشُّ من شعاعها في قريتي نورا وطيب
والبدرُ ...

لا ، ما في الدني بدرٌ كما في قريتي
أبدعه الله لها وخصَّها بالفتنة
يسطع في سمائها ككرة من ذهبِ

كأنمـــا يضحك للاطفــال عنــد اللعب

* * *

في قريتي دنيا من الاصوات والانغـام
تعزفهـا عناصر القريـة في انسجـام
من وسط الوديان والسهول والاكـام
ومن سطوح الدور ، او حظائر الاغنـام
ومن عشوش الطير ، والدجاج ، والحمام
تسكرُ أسماع الضياء الحلو والظـلام
فتغمر القريةَ ، رُغم البؤس ، بالاحلام

* * *

وان خيَّم في القرية صمتٌ أو غفا حسٌ
باصبـاح وامســاء
يشقّ الصمتَ من مئذنة المسجد تكبيرٌ
وتجلوغفوةَ الاحساس دقّاتُ النواقيسِ
تناغم ذانك الصوتان
في معناهما القدسي
وفي الايحاء بالتقوى، وارهافقوى النفس

* * *

وللاطفال في الساحات لهوٌ
وصخبٌ في النهاروفي الظلامِ
ففرسانا على خيل تراهـــم
من القضبان تُلجَم باللجام
وطورا هم جنود في قتـال
تراهم في فِرار والتحـام
تثير خيولهم عند التلاقي
غبارا كالسحائب ذا قتـام
ولا تنجو عشوش الطير منهم
ولو بُنيت على هام الغمـام
وتحسبهم ضفـادع عابثاتٍ
اذا أبصرتهم وسط الغدير

وان يغزوا الفراش فلن يبالوا
بطول العَدْوِ والعرق الغزيرِ
حياةُ براءةٍ ورؤى ولهوٍ
فما أحلى البراءة في الصغيرِ !

* * *

في قريتي قصة تطول أبطالها الناس والفصولُ
فبعضها دفقة ابتسامٍ
وبعضها أدمع تجولُ
وبعضها فرحة وسلوى وبعضها حسرة تصولُ

ذي قصة المناضـل العنيدِ
القرويّ الكادح المحسود
يغالب الفصول لا يكـلُّ
ويستغلُّ الارض لا يملُّ

* * *

يهبُّ اذا ما أطـلَّ الشتاء
يشقُّ التراب بأقصى العناء
ويغرس فيه مع الحَبِّ شيئا
أعزَّ من الحَبِّ ، وهو الرجاء
أتنبتُ آمالُه في غـدٍ
سنابلَ خضرا تميت الشقاء ؟
لقدحمل البرد ، لم يشكُ يوما
وظلَّ يزيل العَناء بالغِناء
له في غد أمل واســعٌ
فيا ربِّ بارك له في العطاء !

* * *

وفي الربيع الضاحك الممرعِ
اذ تغرقُ الارضُ بأعراسها
وترتدي أنفس أثوابهـــا

وتسكرُ الدنيا بأنفاسها
يضحك اذ تضحك في وجهه
وقلبه يحيا باينا سهـا
وفي المراعي الخضر قطعانه
ترعى على رنّات أجراسها
يا ربّ ! لا تعصف بأفراحه
بدودة الحقل وأرجاسها !

* * *

وانماجت رؤوس السنبل الشقراء في الصيف
ورنّح موجها الحقلا
ودغدغها النسيم الحلو في لطف وتحنان
ونادى الصيفُ ربَّ الحقل يجني جهد أيامه
يهبُّ الكادح القرويُّ ، في يمناه منجلهُ
ولا يهتمُّ بالعرق الغزير يسيل من جسده
ولا بالحرّ منصبًا فيشوي جلده شيئًا
يغنّي حين يلوي العسجد الميّاس في يده
فيُطرب صوته الاطيار والجدجد في الحقل
فيهتاجان للشدو
وفي الآكام من ترتيله رجعٌ وألحانُ
ومن غبطته في الحقل والآكام ألوان

وما أسعده اذ يجمع الاغمار في البيدرْ
ويمضي النورج الجوعانُ يقضمها ولا يرحمْ
ومن تيجانها الصفراء في عبث يعرّيها
ليمنح حبَّها الذهبيَّ لابن القرية العاملْ
يكافئه بها عمّا همى في الحقل من عرقهْ

لقد بارك ربُّ الصيف ، يا فلاح ، في جهدك
فطب نفسا ، وعش مع ارضك الكرمى على عهدك
فلن تبخل في منحك ، فاصدق انت في وعدكْ

* * *

أتعبت نفسك في الشتاء وقرّه
وشقيت في فصل الحصاد وحرّه

لا ، لم يحن ان تستريح من العنا
فالق الخريفَ بخيره وبشرّه

قد بعت جنيَ العام : حبًّا أو ثمر
لكنّ ديونك ما يزال لها أثر ...
ان كان ما في البيت لا يكفي لها
لا تبتئس ! ستظلُّ أعواما أخر ..

لا تخشَ شيئا فالمرابي حاضرٌ
ولخدمة الكرماء ، مثلك ، ساهرٌ
وغدا متى عاد الحصادُ سيجتني
ما قد شقيتَ بزرعه ، ويغادرُ !

مسكينٌ ! كم لك من عدوٍ حاقدٍ
ولكم لحقلك من حسود راصدٍ
ان كنت تحتقرُ المرابي ناقماً
ليس المرابي غير خصم واحد !

أترى الى البستان كيف تجرّدت
أشجاره ، وحلى بهاءُ تبدّدت ؟
لكنه رغم العواصف لم تهن
أشجاره ، وعلى الرياح تمرّدت
أتهونُ أنتَ ؟!
أبى اباؤك ذاكا !

* * *

في قريتي سحرٌ وفيها بهاءْ
لكنما في قريتي اشقياء
لقمتهم من كدٍّ أيديهمو
لكنها معجونةٌ بالدماء

في قريتي جماعة كادحون
وهم بكدح العمر مستبشرون
يرضون بالبؤس نصيبا لهم
ما دام فيه يسعد الآخرون !

عمان — عيسى الناعوري

الدراما والحياة

بقلم محمد محمود الاهواني

✳

كما تكون الدراما (١) تصويرا حيـــا للمتناقضات في العواطف والاراء ، في الحياة التي تعكسها ، فانهـــا تدخل كذلك في صراع مع نفسها ؛ فهي ترث فن العصور القديمة وتغنيه بصور الحياة الجديدة النامية ، فينتج عن هذا الصراع ثورتها ضد نفسها ، متغلبـــة على المحاولات المتعثرة التي أصبحت غير معبرة عن مضمون الحيـــاة المتجددة ، والتي تلد اوضاعا جديدة لا تثبت عند حد . فتنزوي الدراما القديمة ، مخلية السبيل امام الدرامـــا الجديدة بعد ان تزودها بفضائل الحياة التي خلفها الماضي ، ولا تعيش الا كمنارة تهدي الانسان الى ماضيه ، وتبرز له ما فيه من قيم وعواطف انسانية .

فمن الرقصات الدينية التي كانت تقـــام في مصر القديمة تقربا للاله اوزوريس ، نبعت الدراما بشكل بدائي ، قبل ظهورها في اليونان بعدة قرون ، وكان أشهرهـــا الدراما التي تدور حول الاله اوزوريس نفسه .

وانتقلت الدراما من مصر الى اليونان ،عن طريـــــق هيرودوتس وغيره من اليونانيين الذين زاروا مصر . وتعود قوة الدراما في اثينا ايام بركليس الى انها كانت عيدا شعبيا تعترف به الدولة ، وتمثل افكار الشعب بأسره وعواطفه . فقد كانت تصويرا صحيحا للديموقراطية اليونانية التـــي حاول افلاطون ان يضع لها مفهوما عاما في نظرية المثل التي لا تحوي غير تعبير مجرد عن المثل الاخلاقية . وحتى العبيد وجدوا من يتحدث باسمهم وهو ايروبيدس ، الذي كـــان يبغض العبودية وكان يضمن مسرحياته ملاحظات تدورحول هذا المعنى وفي مسرحيته : « امراة طروادة » يجعل البطولة الحقيقية للمسرحية لاحد العبيد .

وقد اظهرت الديموقراطية اليونانية كثيرين من مؤلفي الدراما الانسانية التي عاشت خالدة على مر القرون . فأبو المأساة اخيلوس هو اول من نزع في مسرحياته الى ما يسمى بالاتجاه الانساني الذي يميز الدراما اليونانيـــة . فرغم ان ابطاله كانوا آلهة وانصاف آلهة فقد اسبغ عليهم صفات ومزايا انسانية ، ففي روايته « حدود بروميثيوس» رغم ان البطل نصف آله فهو يناصر الجنس البشري ضد الآلهة . وقد أدى هذا الى اتهام اخيلوس بالمروق والكفـر بالآلهة من قبل القلة المحافظة والمتدينة ، بل لقـــد حاول البعض الاعتداء على حياته اثناء عرض احدى مسرحياته .

وكان ابو الكوميديا اريستوفانس نزاعا الى السلام وضد الحروب ، ولكنه كان رجعيا في تفكيره ، يحمـــل بسخريته اللاذعة على المفكرين التقدميين مثل الفيلسوف سقراط وكاتب الدراما ايروبيدس .

وقد حدث في الكوميديا اليونانية تطور في المضمون ميز بين عصرين مختلفين لها . فقد كانت الكوميديا القديمة نزاعة غالبا الى تحليل الشخصيات فحسب ، فجـــاءت الكوميديا الجديدة ، التي كان ميناندر أبرز كتابها ، وبدات تعالج موضوعات الحياة اليومية ، كحياة التجار ومشكلة العبيد .

وان الخلود الذي حققته الدراما اليونانية يرجـع الى انها ، رغم المفهوم العام الذي كان سائدا عن ان هذا العالم انعكاس لارادة الآلهة ، كانت تعبر عن الصراع في المجتمـع من خلال تصوير الصراع بين هذه الآلهة ، التي كانت تمثل صفات انسانية ، وعواطف البشر وانفعالاتهم .

ولكن في اي عصر من العصور ، تبدأ عيون الناس في التوجه الى النور البعيد للعصر الجديد ، الذي يحمل في طياته حياة وعلاقات جديدة بين الناس ، ينتج عنها تغير في مفاهيم الناس عن الحياة . وفي البداية ، لا تتبين هـذا النور البعيد الا عين رجل العبقرية ، فيعكسها على السطح اللامع لعمله الفني ، لتراه منه العين الرجل العادي . وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الفنان ان يعبر بها عن وعيـه .

ففي العصور الوسطى ، كانت الامبراطورية الرومانية التي شملت اوروبا باسرها حتى الدانوب وآسيا الصغرى والشاطيء الافريقي للبحر الابيض المتوسط ، هي احـدى القوى السياسية الضخمة في العالم القديم . وكانـــت

راجع الاديب مايو ١٩٥٥

المسيحية في مبدأ ظهورها ، متفقة تماما مع الازدهار الاقتصادي التجاري الذي بدأ يظهر في كثير من المدن الاوروبية ، فقد زودت الشعوب الاوروبية بالمبادىء الاخلاقية عن الحب والاخلاص ، التي لم تحققها مثالية افلاطون المجردة ، والتي تركزت بصورة مجسمة في شخص المسيح . وهكذا تجمعت تلك الشعوب الاوروبية في وحدة سياسية تمثلها «الامبراطورية الرومانية المقدسة». وكانت الدراما التي نشأت في تلك العصور المتقدمة تتضمن الفضائل والمثل الاخلاقية كالاخلاص والامل والشجاعة ، كما وجدت مسرحيات عاطفية تصور حياة المسيح .

وفي البداية كانت هذه المسرحيات تمثل باللاتينية ، وهي لغة الكنيسة والدولة الرسمية ، في داخل الكنائس . ولكن تطورا خطيرا كان يحدث في داخل المجتمعات التي تحتضنها الامبراطورية الرومانية ؛ فالتجارة يزداد نشاطها ، والازدهار الاقتصادي يشمل اجزاء كثيرة من اوروبا ، وخاصة المدن الايطالية ، وطبقة جديدة يولدها ذلك التطور الاقتصادي في جسم الدولة القديمة .

وعند ذلك ، كانت الدراما قد تجاوزت حدود جدران الكنيسة الى فنائها ، حيث اصبحت المسرحيات تمثل باللغات الوطنية ، ولم تلبث ان تلت ذلك خطوات اخرى ، فانتقلت الدراما من فناء الكنيسة الضيق الى الاسواق ، معبرة عن حياة الطبقة التجارية الوسطى الناشئة ، ومناهضة لسيطرة النظام العبودي . وكانت هذه القوى البورجوازية تشمل الفنانين والتجار والمحامين وفئة المثقفين التي بدات تتفتح في المدن الصغيرة . وكان يؤيد هؤلاء رجال الكهنوت الفقراء والطلاب ، وقد تضامنوا جميعا فانضموا الى البورجوازية الجديدة ، التي اخذ يشتد ساعدها بنشأة المدن الكبيرة وازدهارها . ولاقت الكوميديا في ذلك الحين تأييدا شعبيا كبيرا ، وهكذا تحولت الدراما التي استعانت بها الكنيسة طويلا ، الى سلاح في يد الطبقة التجارية الناهضة ضد الكنيسة . فكانت الدراما التي ظهرت في ذلك العصر ، تمثل ثورة ضد صورها القديمة ، في الشكل والمحتوى معا : فهي تكتب لاول مرة باللغات الوطنية ، معبرة بذلك عن آمال الطبقات الوسطى في التحرر من عبودية الدولة الرومانية . ولعل اعظم كاتب للدراما في ذلك العصر هو دانتي الذي كان اول من كتب باللغة الايطالية ، مناهضا الكنيسة رغم انه هو نفسه كان متدينا ، مما ادى الى نفيه من فلورنسا . ففي داخل الهيكل الديني لاشهر مسرحياته « الكوميديا الالهية » نجد ان المعنى الادبي ، أي الحرفي ، هو اقل ما في هذه الدراما اهمية ، فالقيمة لها تكمن في مضمونها الثوري بما يحتويه من روح متوثبة يغلفها الشكل الرمزي الذي اشتهرت به ، وما يعكسه من الصراع القائم في عصر دانتي ، وهو الصراع الذي جعل دانتي النفس الانسانية مسرحا له ، مستخدما في ذلك شكلا فنيا فريدا ، بان جعل ابطاله شخصيات تاريخية لها شهرتها كنماذج تمثل الخير والشر المتصارعين في عصره .

وقد انتهى هذا الصراع في اواخر القرون الوسطى الى انهيار الامبراطورية الرومانية ، وظهور القوميات الاوروبية المستقلة . واصبحت الدراما في عصر النهضة الذي تلا القرون الوسطى وسقوط الامبراطورية الرومانية خير معبر عن الطبقة التجارية الوسطى الناهضة ، اذ وضعت حدا للمفهوم الكلاسيكي الذي كان سائدا من قبل عن ان الانسان هو فريسة الاقدار ، وانه رهينة تتبادلها السماء والجحيم في ذلك الصراع الكوني الرهيب بينهما ، واصبح المفهوم الجديد عن العالم ان الانسان نفسه هو مدار كل شيء ، وتغيرت تبعا لذلك الصورة التي كانت تعكسها الدراما عنه .

فقد بدات الثقافات الانسانية القديمة ، اليونانية والرومانية ، تزدهر من جديد . وتفتحت امام الناس آفاق جديدة من المعرفة لم تقتصر على بلد بعينه ، بل اخذت تزحف حتى شملت اوروبا باسرها . وكان اختراع الطباعة حدثا كبيرا اوصل الثقافة والمعرفة في عصر النهضة الى عقول كانت تعيش في ظلام القرون الوسطى. واستمرت الطبقة الوسطى النامية تسير في طريق الازدهار ، تزداد قوتها ونفوذها يوما بعد يوم ، حتى أضحى للتجار مكانة كبيرة في جميع الاوساط ، حتى انهم كانوا الفئة الوحيدة التي يسمح لها بمزاولة عملها والانتقال بين البلدان المختلفة اثناء الحروب . واصبح لبعض العائلات ، مثل عائلة فاجر في المانيا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، نفوذ مالي ضخم ، فكان البابوات والملوك والاباطرة يلجئون الى عائلة فاجر هذه طلبا للقروض . ولاول مرة ظهرت المصارف في ذلك العصر ، وتوصلت الى حد كبير من القوة والنفوذ ، كان نواة للرأسمالية التي ظهرت فيما بعد ، واصبحت الثروة التجارية اعظم اهمية من امتلاك العقار والارض .

واستمر الفنان في هذا العصر ، كما في سائر العصور ، يبني روائعه حتى تلمس قممها ومضة الشمس المشرقة ، شمس العصر الجديد ، فولدت من احشاء فنون القرون الوسطى ، فنون النهضة التي كانت تستلهم مضمونها من الانسان وحياته والطبيعة التي يعيش فيها ، فاعظم الاثار الفنية في الرسم والنحت التي خلفها لنا عصر النهضة هي التي تمثل الجمال ممثلا في الانسان ، وفي المناظر الطبيعية ، بعد ان كانت في القرون الوسطى قاصرة على تصوير المعاني الدينية . واسمى المعاني الانسانية كالفضيلة والخير والشجاعة والمحبة اصبحت الموضوعات التي تدور حولها الدراما ، التي لم تقتصر على ذلك ، بل كانت تتميز بنشر روح التفاؤل والمرح التي كان انسان ذلك العصر في حاجة اليها وهو يبني حياة جديدة ستكون نواة في المستقبل لاحدى الثورات الكبرى في التاريخ ، وهي الثورة الصناعية .

وهذه الروح التفاؤلية ، بما فيها من مرح ورقة ، تتبدى بوضوح في مسرحيات شكسبير الذي كان يقف في المقدمة من شعراء عصره . ولكن اذا كان شكسبير قمة في تحليله للشخصيات ، وروعة الشعر وسهولته ،والغوص الى اعماق النفس الانسانية ، والقوة الدرامية ، فان ابطاله لم يكن لديهم ما يقولونه ؛ كما انه كان مجردا من كل وعي اجتماعي مما تبدى في استعداده لاستغلال اي موقف تاريخي او غير تاريخي من اجل القيم المسرحية ؛ ثم انه كان يتصف بتعصب وطني وجهل بالتاريخ ، وافتقار الى الفهم والعمق الفلسفيين ، تظهر جميعا في كثير من مسرحياته . فهو يصور جان دارك ، مثلا ، كساحرة ومشعوذة ، ويمجد يوليوس قيصر بدون اي وجه حق ، وفي مسرحيته « الملك جون » يغفل ذكر اي شيء عن انه في عهد ذلك الملك صدر العهد الاعظم (ماجنا كارتا) ، وهو اول وثيقة عن حقوق الانسان ، وتعتبر حادثا تاريخيا خطيرا في تاريخ الحضارة الغربية . ولا يوجد في كتاباته جميعا اي احساس بالتقدم او الاستمرار في التاريخ، وهو نقص ليس له اي عذر ، كانسان عبقري ، في الوقوع فيه كمعاصريه من الكتاب . وزيادة على ذلك فانه كان شديد الاهتمام بتصوير الاشباح والخرافات في عصر تقلص فيه الايمان بالخرافات والسحر . وبسبب هذا وغيره أطلق فولتير على شكسبير اسم « السكير المتوحش » . ولكن يغفر لشكسبير انه صور عالمه الذي كان يعيش فيه بحيوية وروح فنية قديرة ، وعمق في الاحساس ، تعوض تخبطه وجهله التاريخي ، وافتقاره الى اي عمق في الوعي الاجتماعي . ورغم ان شمس شكسبير الساطعة قد القت ظلالا قاتمة على معاصريه من كتاب الدراما ، فلم يعد العصر الاليزابيتي يذكر الا مقرونا باسم شكسبير ، فقد ظهر في ذلك العصر كتاب يحملون في اقلامهم وعيا اجتماعيا قويا ، وتعبيرا صحيحا عن آمال الشعب في ذلك الحين ، فكانت مسرحياتهم مرآة تعكس حياة الطبيعة التجارية النامية .

فتوماس ديكر مثلا يعبر في مسرحيته « عطلة صانع الاحذية »عن آمال الشعب في الاصلاح الاجتماعي وتحقيق الديموقراطية في عصر كان كتاب الدراما مشغولين فيه بارضاء الحكام .

ولم تتخلف فرنسا عن سائر الدول الاوروبية في اشراق شمس النهضة عليها . وكان حملة لواء الفن الدرامي المعبر عن نمو الطبقة الوسطى الفرنسية، هم كورنيل وراسين وموليير . ومسرحية «تارتوف» لموليير من أشهر المسرحيات الانسانية التي وجهت الى النظام الاجتماعي السائد في فرنسا في ذلك الوقت ضربة قوية اصابت نقطة حساسة فيه . ورغم الاضطهاد الذي نال موليير بسبب هذه المسرحية ، حتى ان تمثيلها قد منع لمدة تقرب من خمس سنوات ، فقد ظل مؤمنا بان وظيفة الكوميديا ليست امتاع الجمهور ، بل عرض الرذائل الاجتماعية . فكانت مسرحياته التي تلت ترتوف تحليلا عميقا للنفس الانسانية ، وللعلاقات الاجتماعية في اطار كوميدي رائع .

لم يكن الازدهار التجاري هو الظاهرة الوحيدة التي صاحبت انبثاق النهضة . ففي الوقت الذي كان الثراء يتدفق فيه بين ايدي الطبقة التجارية الوسطى الناهضة ، كانت الآلة تتطور من مجرد اداة بسيطة تدار باليد ، او بقوة دفع الماء او الهواء ، الى القاطرة البخارية او المغزل الآلي . واستمر هذا التطور بشكل قوي حثيث ، فلم يأت القرن الثامن عشر الا وقد تكاثفت الآلة الحديثة والمال المكدس في خزائن التجار ، فخلقا الثورة الصناعية التي سادت اوروبا باسرها ، وقامت البورجوازية الصناعية تتزعم سلسلة من الثورات السياسية الهائلة التي قوضت دعائم الاقطاع ، وحررت الفلاح من عبودية الارض ، ومنها صدرت لاول مرة في التاريخ الدعوة الى حقوق الانسان والديموقراطية السياسية .

وصحبت هذه الثورة الصناعية ثورة اخرى فيمفهوم الانسان عن العالم الذي يعيش فيه — هي الثورة العلمية . ولم يكن حملة لواء هذه الثورة من مشعوذي القرون الوسطى الذين كانت الكيمياء لديهم هي محاولة تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب ، والفلك هو قراءة الغيب عن طريق النجوم ، بل علماء حقيقيين وسيلتهم مشاهدة الظواهر المختلفة للكون ، واستنباط القوانين الموضوعية التي تتحكم فيه خارج ارادة الانسان . فاصبح الانسان يبحث عن حقيقة عالمه في هذا العالم نفسه ، واخذت اسرار الكون المغلقة تتفتح امام تجارب العلماء ، وتفتحت معها امام البشر طريق مستقبل كان يبدو في الماضي مظلما ينتهي الى هاوية

سحيقة .

في تلك الحقبة من الثورات الصناعية والفكرية ، كان كتاب الدراما كعهدهم دائما في طليعة الذين تطلعوا الى العصر الجديد ، وكشفوا الطريق امام الشعوب التي تسعى الى التحرر ، بأن جعلوا كتاباتهم مرآة للمتناقضات التي تتصارع في جسم المجتمع . ففي فرنسا كان قلم فولتير الساخر يخز الاوضاع الفاسدة في المجتمع الفرنسي بغير رحمة ، كما انه كان شديد الايمان بالحضارة الانسانية . وفي مؤلفات روسو كانت الدعوة الى الديموقراطية والتحرر، وآراؤه عن العقد الاجتماعي من أقوى المحرضات على قيام الثورة الفرنسية ونجاحها ...

وفي المانيا ظهر في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر اثنان من اعظم كتاب الدراما على مر العصور ، هما جوته وشيللر ، كانا خير معبرين في شعرهما عن روح الديموقراطية والوطنية في العصر الذي عاشا فيه . فجوته من عمالقة الفكر البشري الذين تنبض اعمالهم بالانسانية والتفاؤل . ففي مسرحية فاوست ، نجد فاوست في لقائه الاول مع فاجنر يؤكد قيمة الاخلاص الذي بدونه لا تكون للمهارة اهمية ، وعندما يجعل جوته الالاهة تؤنبه على أي انحراف قد يبدو منه نحو اعتبار نفسه انسانا فائقا Superman ، فانه يعبر عن ذلك قائلا باخلاص :

لماذا نشدت طريقي بعناية المتحمس
ان لم يكن يحدوني الامل في ان اصحب اخوتي الى هنا ؟

وقصة فاوست اسطورة من القرون الوسطى عن رجل باع روحه للشيطان. وقد كتب مارلو في العصر الاليزابيثي مسرحية بعنوان (الدكتور فاوستاس) جعل فاوست يموت فيها يائسا . اما جوته فقد أعطى القصة اتجاها جديدا : فالشيطان يجد نفسه عاجزا عن اغواء فاوست ، لان فاوست مهما اقترف من رذائل فهو يحاول دائما ان يكون انسانا فاضلا ، ولا يتطرق اليأس الى نفسه . والجزء الاول من فاوست هو تحفة جوته الخالدة التي اخلت له مكانا في صف الخالدين في تاريخ الفن الانساني من امثال هوميروس ودانتي وشاكسبير ، لما تشتمل عليه من الصراع الانساني في الضمير والحب، والوحدة بين العاطفة والحكمة، وهي المزايا التي لا يوجد منها اي أثر في الجزء الثاني الذي ليس الا انتاجا معقدا من المثالية البعيدة كل البعد عن الواقع الانساني .

وكان شيللر شاعرا ثائرا ملتهبا تعتبر مسرحياته من امثال « وليم تل » و « الدسيسة والحب » (وهي المأساة الالمانية الاولى التي تعبر عن اهداف سياسية) تعبيرا صادقا عن معتقداته السياسية في الوطنية والديموقراطية. والنقد الاساسي الذي يوجه الى شيللر انه جعل من شخصياته المسرحية مجرد ناطقين بالاراء السياسية ، فاصبحت النزعة او المحتوى الفكري في الدراما منفصلا عن الصورة الفنية او ملحقاتها ، فلم تعد الدراما بذلك تمثل بناء عضويا متكاملا تنطق فيه شخصياتها بما تتضمنه من افكار ومعتقدات ، أي لم تعد الصورة الفنية التي انعكست عن الواقع في ذهن الكاتب وتشكلت فيه حتى اخذت شكلها الفني ، في وحدة نامية مع المحتوى الفكري ، فلا تكون الدراما مجرد اثارة سياسية بعيدة عن الصورة الفنية ، او صورة فنية جوفاء لا تحتوي على أي محتوى فكري حي منبثق من الواقع .

كان القرن الثامن عشر هو الذي حدد نهاية الصراع بين الاقطاع والطبقة الوسطى ، حيث وصلت المتناقضات بينهما مرحلة حاسمة ولدت تلك الانفجارات التي انتهت بانتصارات البورجوازية الصناعية . وجاء العهد الجديد يحمل في طياته بذور تناقض جديد ، لم تفلح في القضاء عليه او الحد منه وسائل العنف والارهاب التي اصطنعتها الطبقة المسؤولة الجديدة ، ولا حتى المكاسب التي احرزتها الطبقة الاخرى . فبعد ان قبضت البورجوازية بيدها على الحكم ، اندفعت الصناعة في طريق التقدم والنمو ، مستفيدة من الاختراعات الحديثة التي وضعها العلم في خدمتها ، ونمت معها طبقة العمال حتى اصبحت قوة ضخمة تقف على طرف النقيض من اصحاب المصانع والمصارف والمناجم .

وفي وسط هذا الواقع تطورت الدراما الى مرآة تعكس مشاكل الشعوب في حياتها الجديدة . فابسن وبجورنسن في النرويج ، وتشيكوف في روسيا ، وهوجو في فرنسا ، وسودرمان في المانيا ، وهنري ارثر جونز في انجلترا ، يعبرون في مسرحياتهم عن واقع الشعوب والبؤس

والانحطاط اللذين تعانيهما ، والادواء الاجتماعية التي تنشأ عن ذلك كالجريمة والتدهور الخلقي .

وكان من الطبيعي في مجتمعات يسيطر عليها التناقض والصراع الداخلي ان توجد مذاهب مختلفة . فنشأت الرمزية التي تستوحي معاني باطنية تتركز كلها في مجالات بعيدة عن الواقع الخارجي المتحرك، وكان قائدهذه المدرسة الكاتب المسرحي الالماني موريس ميتر لينك ؛ وقامت المدرسة السريالية على اساس التعبير عما وراء الشعور ، فأصبحت لا تتضمن في انتاجها شيئا عن الحقيقة الموضوعية ، فهي فارغة من كل معنى ، خالية من اية قيمة موضوعية ؛ والمدرسة التأثرية تعني بالمظهر والتفاصيل التي توحي بالصدق كالملابس والاثاث مما يؤثر على الحوار وتركيب المسرحية الشكلي ويبعث في نفوس المشاهدين احساسا زائفا بان ما تعرضه المسرحية هو الواقع ؛ وتعتمد المدرسة التعبيرية على البراعة في التعبير والتلاعب فيه بما لا يحمل ادنى صلة بالعالم الواقعي .

ولعل اشهر مذهب قامت على اساسه احدى مدارس الدراما هو الفلسفة الوجودية .

ومسرحيات سارتر واتباعه هي التعبير الفني عن تلك الفلسفة . ومسرحية « الايدي القذرة » لسارتر مثال للدراما التي تحوي مضمونا سياسيا مباشرا يوضح لنا حقيقة النزعة الوجودية .

وقد تطورت الدراما منذ اشتدت حدة المتناقضات في داخل المجتمع ، وازدادت النظرة العلمية الى الوجود والمجتمع الانساني شمولا ، وسجلت ثورة جديدة ضد نفسها في المضمون الذي تحويه ، والذي يمثل حياة الانسان من وجهة نظر اكثر واقعية واقرب الى الحقيقة العلمية ، وبرنارد شو من الرواد الاوائل في هذه الثورة الدرامية : ففي مقدمة مسرحيته « العودة الى ميشالح » يفيض في شرح نظرية التطور لداروين ويطبقها على نواحي الحياة المختلفة في السياسة والاقتصاد والفن ، مما يدل على اهتمامه البالغ بها ، وتأثيرها في اتجاهه الفني حتى انه يسميها دين العصر الجديد ؛ وفي « بيجماليون » نراه ينحو نحوا جديدا في وضع افكاره في اطارها الفني ، فيهمل اسطورة المثال وتمثاله التقليدية التي اتخذها الكتاب ، سواء في الغرب او الشرق ، موضوعا اساسيا تدور حوله مسرحياتهم ، فيختار تمثاله فتاة من عامة الشعب الانجليزي ، والمثال استاذا في علم النطق ، فيصور من خلال شخصياته حياة البورجوازية الصغيرة في المجتمع الانجليزي . وتعتبر مسرحية « الانسان والانسان الفائق » Man and Superman من اقوى المسرحيات في الادب الانجليزي ، وذلك من وجهة النظر الفنية والبيولوجية . ولكن الاراء السياسية التي تعرضها بعيدة كل البعد عن الحقيقة : فالمسرحية تحتوي ، مثلا ، على فقرات مطولة ترجع الحرب لا الى اصولها الاقتصادية ، بل الى انحراف الجنس البشري ، والى الحب الرومانتيكي للموت والتدمير وتمجيدهما .

والواقع ان المتناقضات التي تستعر في داخل العالم تنعكس على الدراما في ثورتها ضد نفسها اثناء محاولتها التعبير عن الواقع . فقد ازدادت حدة التمييز بين الدراما التي ترث التقاليد الانسانية في فنون العصور القديمة وتغنيها بواقع الحياة الجديدة ، والدراما التي تنكرت لهذه التقاليد الانسانية ، وحفلت بروح التشاؤم والانحلال والانهيار الخلقي والانعزال ممثلة مدارس مختلفة كالرمزية والسريالية والوجودية ، بحيث اصبح الوقوف عند برنارد شو كممثل للدراما الواقعية بعيدا كل البعد عن فهمنا للواقع . فقد تغيرت نظرة الناس الى الحياة ، واختلف مفهوم الانسان عن الوجود ، فقد بينت الاكتشافات العلمية التي بدات في القرن التاسع عشر اننا نعيش في وجود متحرك ، اساس الحياة فيه المتناقضات الداخلية التي تولد دائما اوضاعا جديدة، وهذا التطور لن يبلغ مرتبة الكمال، أي انه لن يصل ابدا الى مرحلة نهائية يجمد عندها الوجود ويتوقف عن الحركة ، وبذلك تتضح حقيقة العلاقة بين الفن والواقع .

فالدراما القديمة التي كانت تعكس حيا ةالانسان بصورة فردية تبرز البطولات الذاتية ، وتسبغ على الافراد صفات انسانية كالذكاء والجراة والوطنية والتهاب العواطف هذه الدراما لا تمثل واقع الحياة كما هو في حقيقته فالفنان الواقعي يقدم صورة الناس في ملء عملهم التاريخي فلا يكتفي بان يعرض لواقعهم البائس بل انه يبرز القوى المضادة الخلاقة التي تعمل على تغيير هذا الواقع . وهذا ايضا لا يكفي ، اذ يجب ان يقدم الصورة الفنية للناس وهم يغيرون هذا الواقع فهو يقدم صورة الواقع ومتناقضاته ، ولكنه لا يقدمها باردة جامدة ، بل في اثناء حركتها النامية المتغيرة المتحولة وهو في عرضه للواقع يطهره من شوائب الخرافات والاوهام .

هذه الواقعية تتبدى في كتابات مكسيم جوركي الذي وضع اسسها الاولى كما ظهر في جميع دول اوروبا كتاب للدراما يعبرون عن الواقعية .

والحقيقة في هذه الواقعية الجديدة ان الفن يؤدي دورا فعالا في تحويل المجتمع . فالصورة الفنية للفردالتي تنعكس من الواقع على ذهن الفنان لتخلق فيه خلقا جديدا، تظهر في البناء الفني بشكل متكامل مع صور افراد آخرين، تجمعهم قوانين الحياة الموضوعية . فالفنان في الواقع يعبر عن مفهومه عن الحياة بصور محسوسة للانسان وهو يحيا طبقا لهذه القوانين ، وهو بذلك يختلف عن رجل العلم الذي يسجل مشاهداته للواقع ويعممها في شكل قوانين ، ويعبر هيني عن ذلك بقوله ان رجل العلم يستخرج من جسد الحادث روحه في حين ان الفنان يهب هذه الروح جسدا .

الظهران **محمد محمود الاهواني**

حديث في رقصة

الى احمد ابو سعد شاعر
« قصائد دافئة »

✳

لفؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم
فنزويلا

●

ـ « أنت من أين يا جميل
يا صبا الغنج والفتون ؟
ولمن زرقة العيون ،
توقظ التيه والجنون
ولمن شعرك الطويل
والطفولات والزغب
رعشة الضوء والذهب ؟! »

✶

... فمشى يرقص القدم
وتثنّى على النغم
ولوى جيده وقال :
ـ « أنا من موطن الجمال
والمواعيد في القنال
حيث ينهلّ مندلين
بلحونٍ لا تلين
مهجة الليل والكروم
والشعاع الذي يحوم
حول جوندولنا المزان
بالمصابيح والورود ...
أنا من شط نبّلي
من بساتين برتقال
تنشر الطيب في الليال
فتخلي بكل بال
ذكر حب مغلّلٍ
بسنا الطهر والخيال
زفّه شاعرٌ غريب
للاساطير والخلود
فحنا شطّنا الحبيب
وحوى القبر والرفات
وبقايا الاغنيات
باكياتٍ لها تذوب
مقلة الفجر ... والقلوب

✶

موطني موطن الفنون
والازاميل والرخام
والاناشيد .. والغرام
تلكم الارض موطني
فصف الان موطنك
أيها الاسمر السهوم
أبد العمر في الغيوم ! »

ـ « موطني آه لو تراه
لون عينيك من سماه
لو تراه لصحت آه
ههنا جنّة الاله !
موطني مهد عشتروت
والنسيم الذي يموت
مستهاماً على التلال
موطن الليل ... والنجوم
والثريات والقمر
والمناجاة والسّمر
والشطوط الملوّنات !
موطني الرائع البهاء
اطلع الحرف والضياء
صبغ الدّل ارجوان
وطوى البحر والزمان
بشراعٍ له افتتان
بالاعاصير والشرود

✶

ان لبنان موطني
ذلك الاخضر الظليل
موطن الارز والنخيل
حيث ارتاد في الفِكَر
عالم الامس والصغر
وبقايا من الذِكر
تنعش الحاضر الجديد !

✶

نحن من موطن الشداة
والجنان المغيبّات ...
هات كفّيك ولنغب
عبر لبنان والقنال
ونرى شرقنا الحبيب !

قلت ببساطة ، وعيني تذوب في حلاوتها ... :

ـ أحاول بجميع الوسائل ان ارغمها على موافقتي..

ـ معقول ! واذا كان طلبك في ان تصحبك الى بلاد نائية تموت عندها اصداء القذائف وصور المشانق والهياكل العفنة ... واذا كانت حبيبتك هـذه لا تقدر ان تقوم لتمشي ، اذا كانت مقعدة ! باردة ، لا تتحرك !!!

وهنا ، لم افهم قصده ، فرحت انظر اليه مدهوشـا انتظر منه ايضاحا ، فواصل كلامه قائلا :

ـ لا تعجبا ، يا عروسي ، فمعشوقتي من هذا الطراز، الطراز الكسيح الاصم الاعمى . انها جامدة ، لكل من لا يرى الحياة الا في الحركة ، وهي خرساء ايضا ، للذين لا يفهمون الكلام من خلال العطاء . انظر هناك ، يا بني ، حيـث الدوالي تنتصب مثقلة بالعناقيد الشقراء ، حيث الارض الكسيحة هذه ، وهذا الخير ، فان هناك يعيش حبيبي ، ولخيره هناك مواليد ..!

كنت قد سمعت عن هذا الرجل كثيرا ، فمن قروي قائل انه يتكلم كالحكماء وآخر انه « فيلسوف » فعلا ، وآخر انه لو قيض له وتعلم في المدرسة لكان اضحى نابغة عظيما ! فحسبت اولا ان هذا كله لغط واعجاب ابله ، وبقيت في اعتقادي هذا الى ذلك النهار ، فصرت من بعده اكرر زياراتي اليه ، وحدي ، العب معه بالورق ، والطاولة ، والداما ، وناكل عنبا ، ونتحدث . وطالما كنت اسمعه يردد « وجد الانسان لامرر ثلاثة : العمل ، والحزن ، والفرح ، ولا يمكنه ان يحيا الا بها ... الا اذا كان معدم الشعور..» ويقولون لك بعد ذلك ، اذا شئت ان تتكلم عن القرية في شيء كن بسيطا كابنائها البسطاء ، ساذجا كعاداتهـم وكلامهم ! انا لا ارى اين البلاهة في هـذا الكلام لقروي شيخ . ولا ارى فيه سذاجـة ولا قذفة حروف لا تعي عمقها ... بل اعلم ، ويعلم غـيري معي من رفاقي ، ان استاذا لنا في المدرسة يعلم ان رجلا يدعى راسكين كان يقول هكذا ، او مثل ما قال ابو وهيب ... فما اشبهك ، ابا وهيب ، بذلك العالم الانكليزي تخط يراعته ما يمليه دماغه ويقول قلبك ما تعلمك ارضك ...!!

واليوم ابو وهيب مريض . تنتابه نوب قلبية تكاد في كل مرة ان تودي بحياته ... وهو راض بكل ذلك لان ولديه اللذين يفارقانه ثلاثة فصول بكاملها ، بجانبه يرعيانه ويسهران عليه . وهو راض ايضا لان ارضه بعافية ، لا تشكو العوز في شيء . لقد تعب في حرثها هذه السنة واهرق من قواه فوق العادة كانه خشي ان يكون هـذا العام آخر ايامه مع الارض الطيبـة ، والمعول المتيـن ، والثورين ، والسكة . والحجرة المظلمة هذه التي رضي بها دون الغرفتين الانيقتين العاليتين ، لا يقرفه شيء فيها ، لانه تعود العيشة تحت سقفها المنغمس في ظلمة الاوساخ والعتمة . كل مايريد ان يهنأ ولـداه وعائلتاهما ، وان يصيفوا وينبسطوا ولا يعكر عليهـم الباعوض نومهم او تقرص الدبابير اطفالهم او العقارب ... ويريد ايضا ان يدعه ولداه يشتغل في ارضه فما يزيحانه بالحاحهمـا عليه بالنزول الى المدينة وبيع الاراضي والبيت و.. و.. ولن ينسى ، في سعادته هذه ، الرسالة التي تاتيه مرة كل سنة ، من وهيب التاجر الكبير ، في البلاد البعيدة ...

* * *

كفاه تحت مؤخرة راسه وعيناه على تلة هناك ، على كرم من الدوالي فيها ، يبعثر انظاره على ما يمكنه ان يبصر من العريش ويوقفها مليا على عريشة انفردت قليلا عـن اخواتها وبانت للعجوز جلية ؛ عنبها اشقر ، وورقها اصطبغ قبل الاوان بارجوان خفيف . ومن حين لآخر ، ينتفـخ صدره الاسمر فيصعد زفرة كئيبة وتتدحرج دمعتـان كبيرتان على خديه الاجعدين ، وما يحس بهما حتى تصلا الى الشفتين فيشعر ببرودة لذيذة ويستمرىء طعمـا ناعما فيه نكهة مالحة خفيفة ... ويمضي زمن ، وتبقى الدمعتان وتبقى مسحة الكآبة .

وفجاة علا محياه احمرار قوي وتشنجت عروق رقبته وارتجفت شفتاه فافلت يديه عن راسه وانتزع بعنف اغطيته ... ماذا لو يزور الكرم ؟ لقد خلا المنزل من الفضوليين فلن يراه احد خارج السرير ولن يرغم على التزامه في اثناء غياب اهل الدار . ودمدم : « تبا لهم من ظالمين ! انا ما بي ؟ صداع بسيط هو في طريق الزوال .

ومع هذا يريدون الا اخرج !! والكرم والدوالي ابدا امام ناظري تسمرني وتغويني ... لكن لا بأس . ذهبوا وهذا الاهم . لهم المدينة ولي كرمي ، اريد ان افعل به مـــا أشـاء ... » .

كان يعلم ان جني العنب قد حان وان ولديه واحفاده سيقصدون هذا الاحد الى سوق الضيعة ليبتاعوا سلات جديدة ، او يشترونها من المدينة ، هذا المساء . اذا فهو لن يرى عناقيده عن كثب ان لم يسارع الان اليها . وامامه ساعات فراغ ... وهو يريد ان يبذل جهد الجبابرة ليصل الى فوق ، حد البيت ، على التل الصغير فيعيش في اليقظة التي كانت تراوده دائما في احلامه المتشوقة ...

وتسلل من التخت . فأحس بكل شيء يدور حوله ؛ لكن الرغبة كانت اقوى من ضعفه البدني ، فتمسك بالكرسي المخلع حيث هجعت ثيابه السوداء وهجعت عليها الحفة من غبار . وارتداها بتعب . ثم تراءى له ان قواه تخونه وهو يفتش عن عصاه خلف الباب ؛ لكنه ظل واقفا ولم يهو ، بل كان يتمايل كالسكران كلما حاول ان يخطو خطوة. وكانت رجلاه ترتعدان وقسمات وجهه باديا عليها الشحوب والعياء ، فما ان ظهر على الباب حتى بهر عينيه نور ساطع ما كان ليعهده ، بل كاد يمحى من ذاكرته بتاتا في ظــل الجدران المعتمة وفي السرير في اثناء الثلاثين يوما التي قضاها فيه ... ومشى نحو الخارج محركا خطواته بطيئة. حرك القدم اليمنى قليلا وعينه على الارض ثم تقدم بالاخرى رويدا رويدا ، كالطفل الخائف يتمرن على المشي وفي نفسه شعور دفين مبهم بحدث ينتظره ويعرف انه عظيم . ولم يجد بدا من الجلوس على درجات المدخل فاحس بالشمس الباسمة تدغدغ رمشيه وتهدىء من روعه فيقوى عـلى النهوض والمشي بخطى قصيرة كانه يزحف . ومر بساحة الدار فأفزع الدجاج . ورغبة منه في الا يلتقي احدا شرع يسلك دربا وعرا طويلا بينما كان بوسعه ان يصل الــى الكرم بممر قصير سهل العبور . وزودت حمى رغبته عضلاته البالية بطاقة فائقة : ان يرى داليته المصطفاة ، فذلك يؤهله لان يقهر الموت .

... وانتهى الى آخر الممر فاجاز نصف الطريق . على الهضبة المجاورة ، رأى قرويين يعملون . هؤلاء كلهم يعرفهم ، ويعرف ايضا انهم الان ربما يفكرون به ، برنة معوله المفقودة ، بالعتابا الحنونة التي كان يغنيها مجروحة ، حزينة ، ضعيفة ... فوق ، رأى الصنوبرة الهرمة الحامل فايقن ان الدالية لم تعد بعيدة ! فتنفس الصعداء وبسم بسمة الفوز . كانت قريته الجنوبية تمتد عـلى اخضر ندي ، صامتة ، آمنة ، تهجع ... وتراءت لابي وهيب تحت تأثير وهج شمس الخريف ، سيقان الاشجار بـين المنازل ، تتهاوى اعناقها بخفة ثملة بعطر في الهواء يحبه الشجر ، وتحبه الغابة ، ويحبه ابناء الارض ... وعـن يمينه ، على مدة نظر ، كان جدول منقوش بوهج الذهب الباهت تتراقص عليه بطيئة غمامة مغناج . كل هذا رآه بسرعة خاطفة . فقد صعد نظره حيث الدالية الشقراء ، قرب الشمس تماما ، عند الآلهة .

وشعر بخفة جديدة ، برشاقـة الشباب تعاوده ، واخذت يده اليمنى تشد على عصاه بعصبية غريبة واليد الاخرى ترتعش وتمتد عنيفة نحو المرمى القريب بينمـا ملأ قلبه الفرح وعلت ثغره ابتسامة قريرة . عندما صـار على خطوات من العريشة هوى بغتة الى الحضيض ، ولـم يحاول النهوض فبلغ الى تحت داليته زحفا على بطنـه الضامر تارة وعلى ركبتيه ويديه طورا . وبدا يتنفس بسهولة وهو ممتد بين صفين من جفنات العنب تدغدغ قلبه نفحة من سعادة لا توصف .

ولم يستند الى جذع العريشة خشية ان يرضها . فامر بيديه المرتعشتـــين على الاوراق المحمرة يتلمس بنشوة ما بعدها نشوة العناقيد المتدلية ثريات من ذهب ، من فضة ، من بلور ، من عقيق ، حقنت بالشفق الدامي ولون القمر وشعور الليل المسترسلة .. سوداء ، ويمر عليهـا بشفتيه المكتظتين ، او يكاد يمر ، فيتحسسها بنفسـه المتقطع الساخن ويعود فيمسح منها بحذر آثار رهج او كبريت ... وكان يتمتم كلمات بلهاء ، بل كان يهـذي هذيان المحموم المنازع وامام عينيه قبل النهاية بثوان ، حلة جميلة ، فيها من الامل لون ومن النشوة لون ومن الحب لون ومن الفوز لون !

... وبدات الشمس الكبيرة تنام وراء المنحـدرات مضفية على العنب حبات ياقوت احمر . في ظل الدالية الحلوة ، الشقراء ، في ظلها العطر الموشى بخيوط صفراء ، تمدد ابو وهيب ...

كانت التربة الرطبة تلفظ شذى قويا كعطر النبيذ الجديد ، اللذيذ .

وكان ابو وهيب يسكر بهذا العطر . والحت عليـه الرغبة في ان يتذوق من عنبه شيئا ، من مواليد عريشته الحبيبة التي رعاها بحياة واحبها من قلبه ، وعشقها ، لان ابنه التاجر ، وهيب ذلك ، غرسها بيديه طفلا ، واكـل عنقودها الاول ، يوم حملته يد عفريت وطارت به الــى بعيد ... فأخذ يلتقط « الخصل » ويأكل . وظن انه ما زال في خريف صباه الى اغنيات القطافين والى جلبـــة العربات تنقل العنب المقطوف الى المعصرة تحوله نبيـذا يعتق ودبسا طيبا . وبغتة انطفأت الشمس وانتصب العجوز مذعورا ، فتوجه شعاع اخير باكليل احمر ، وهوى بلا انة على الورق ، ونام معه والعنب يتدلى فوق جبينه ، وعينيه ...

يد انطبقت على عنقود ، وشفتان على حبة شقراء !

أنسي لويس الحاج

اغنية عروس

✳

هي الشمس نامت وراء الجبل
ولكن غداً تطلعُ
فأرحل عن بيتنا في الصباح
غداً عندما تطلع !
واحمل بيض الامـاني معي
ونـور الامـل
مـن المـرتع
واترك خلفي الفراغ العميق
غداً عندما تطلع
فتهفو الحشائش حول العقيق
الى خطـوتي
وتغفو البطـاح ولا تستفيق
علـى نغمتـي

★

غـداً عندمـا تطلـع
وتكسو التلال
وتمحو الظلال
وتطفىء ضوء النجوم الاغر
وتشرب في قلبهـا المستعـر
شعـاع القمر
وتمتص في شفتيهـا الندى
وتمـلأ قلب الصباح شذى
غداً عندما تطلع
سأرحل عن سحر هذي البطاح
غداً عندما يحتوينـا الصباح
غداً عندما تطلع

✶

غداً عندما تطلع

سأرحل.. ليت انتظاري يطول
ولا أرحـل
فقلبي يحـن لضم الهـوى
وروحي من الملتقى يجفـل

★

هي الشمس نامت وراء الافق
ولكن غداً تطلع
فـأرحل عن بيتنا في الغسق
غداً عندما تطلع
ففي سحر هذي الليالي الملاح
نسينا الصباح
صباح الرحيل
غداً عندما تطلع
فـان لفني في حشاه النوى
فـلا تجزعوا
سيبقى ورائيَ بعض الشذى
ويعلق من نغمـاتي صـدى
ترددها الاربع
غداً عندما تطلع
سأبكي عليكم قبيل الرحيل
سأبكي ولو لـف قلبي المنى
بـدفء ظليل
سأبكي غـداً
غداً عندما تطلع

بغداد — **سلمى الخضراء الجيوسي**

بقلم هنري ودانا توماس

شعراء خالدون : جورج بايرون

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة



كان جورج غوردون بايرون [١٧٨٨ — ١٨٢٤] لا يزال في البسة الاطفال حين اشتبك بغيره في اول معاركه . ابتنه مربيته لتلزيث بدلته الجديدة ، فما كان منه الا ان جن جنونه ، فامسك بالبدلة ومزقها من طرف الى طرف . ثم هجم على مربيته وضربها ورفسها وخدشها حتى اضطرت الى طلب النجدة . خاض سبع معارك في طفولته ، وقد فاز في ست منها .

ورث مزاجه الذي لا يضبط من كلا الجانبين من اسرته . فعم ابيه قتل رجلا في شجار نشب في الحانة . وابوه فر مع امراته الاولى ثم نبذها ، وبعدها استنزف ثروة زوجته الثانية ، وهجرها ليموت في خارج بلاده . والزوجة الثانية هذه ، كانت والدة بايرون ، وهي نمرة عرفت بشراستها . وكثيرا ما مزقت ثيابها في لحظات جنونها .

ولما بلغ بايرون سن الشر ، لم تتورع من ان ترمي بوجهه بسنادين الازهار ، ومجارف النار ، بعد ان تسميه « الوحش الاعرج » وقد اعمت هذه الاهانة بايرون من الغضب . لانه شعر شعورا مرهفا برجله القصيرة الشوهاء .

وذات يوم انقضت عليه امه بهذا اللقب الكريه ، فما كان منه الا ان قرب سكينة الى حنجرته ليمزقها ، فهب الى نجدته كل من كان ولم يتمكنوا من انقاذه الا بشق الانفس . وفي منازعة اخرى ، هدد كل من الام والابن حياته ، وهذا ما حمل كلا منهما الى الذهاب سرا الى الصيدلي للتأكد من ان احدا منهما لم يشتر سما . نظر الجيران الى اللورد بايرون الشاب ، نظرتهم الى شبل عاصف في غابة اسرة ثائرة . وصف بايرون نفسه في طفولته ، في لهجة لطيفة بعض الشيء ، قائلا : « كان طفلا مجعد الشعر ، لا يصلح لشيء ، وقردا يصنع الشر من ولادته . »

صحيح انه كان قردا يصنع الشر ، الا ان قلبه امتاز بالسخاء والشهامة . وفي ذات يوم حين كان تلميذا في « هارو » راى طالبا كبيرا يعاقب احد الطلاب الصغار « لخروجه على النظام » بتوجيه لكمات الى ذراع الصغير الضحية ، لم يسع بايرون منازلة المشاغب الكبير ، لصغر سنه ، وهذا ما حدا به ان يسأله عن الضربات التي قصد انزالها بحق الصغير . فسأله الكبير باستخفاف « ولم تريد معرفة ذلك ؟ » فقال بايرون بعد ان رفع ذراعه « لانني اريد المساهمة بتقبل نصف الضربات . » .

* * *

لا مشاحة ان حياة انسان بمثل هذه العواطف المتغايرة ، لا بد لها ان تكون عاصفية ، ومما قاله بهذا الشأن « لو ولدت وفي فمي ملعقة فضية ، كما تقول المربيات لالتصقت بحنجرتي وحطمت ذوقي ، حتى يغدو عسيرا ابتلاع شيء من هذه الملعقة الا اذا كان مادة الكاين » وهذا ما حمله على التماس توابل الحياة المحرقة .

ومن ذلك انه جرب الحب وهو لما يزل في الثامنة من عمره . قال بهذا الصدد :

« ان شقوتي وحبي لتلك الفتاة كان عنيفا الى حد كنت اشك في انني احببت حقا غيرها من يومئذ . وحين سمعت بزواجها ، كاد الامر يرميني في هزات عصبية شديدة . » .

وفي الثانية عشرة سقط مرة اخرى في شباك الحب — كانت حبيبته هذه المرة قريبته ، مارغريت باركر ، توفيت هذه الفتاة بداء السل ، فكاد موتها ينهي حياته نفسها . لم يسعه احتمال الالم العقلي . ولكنه كان شجاعا شجاعة الرواقيين في وجه العذاب الجثماني . فعندما تلقى دروسه في اللاتينية في المدرسة ، كانت ساقه العرجاء ، ملفوفة باطار خشبي بأمل تقويمها . ابدى معلمه عطفه على عذاب الصبي ، فقال بايرون « لا بأس في العذاب،

فان كنت قادراً على تحمله ، فلم اتحمله أنا ؟ » .

ولكي يعوض عن ساقه العرجاء قوى سائر جسمه بالتمرينات الرياضية العنيفة . انه قام بمختلف ضروب الرياضة ، فركض ، وتلاكم ، وتصارع ، وتبارز واطلق النار وسبح . والواقع ، اصبح واحدا من خيرة السباحين في انكلترا ، واجمل الشباب في تلك البلاد . انه ، ببشرته « التي تشبه ضوء القمر في شحوبها » وعينيهالزرقاوين السوداوين ، وشعره الاسمر الضارب الى السواد ، وانفه الارستقراطي ، وشفتيه الشهوانيتين ، وبسمته الحساسة، انه كان جزءا من اله اسطوري ، ومن طفل ــ ثم اضاف بسخرية ــ ومعظمه من شيطان . وبعدئذ اشار الى عيبه الجثماني قائلا : « انتم ترون ان هذه ليست قدما عرجاء ، انما هي قدم مشقوقة . »

نفر من ضعفه ومجد جماله ، وفي تشوقه للابقاءعلى جسمه المشوق القد ، كان « يموع من الجوع تقريبا بعدة ايام .. اذ لم يأكل غير القليل من الكعك ولم يمضغ غير العلك « من اجل التخفيف من غلوا شهيته » وبعد مدة طويلة من الصوم ينصاع الى شهيته فينغمس في حفلات الطعام من غير تورع .

يحدثنا عن ذلك في مجلته فيقول : « تعشيت البارحة مع سكوب ديفيس في مطعم (كوكو) من السادسة الى منتصف الليل ـ فشربنا معا قنينة من الشامبين وستا من شراب كلاريت .. » وهكذا فان قلقه وكبرياءه وعاطفته، هذه الصفات التي امتازت بها شخصيته ، ساقته امامها كأنها نار آكلة وذلك في اثناء سني حياته المبكرة . انها استنفذت حيويته ، وقدمت اليه اجنحة لخياله .

وهذا ما الزم شعره ضرورة وجوده كوجود عاطفته . انه كان انفجارا طبيعيا لجنون وهب قلما الهيا . ففي «دون جوان» وهي اشد قصائده جنونا وقدسية وشيطانية يحدثنا بايرون عن المزاج الذي انجب بعضا من الهاماته :

« كتبت هذا الكلم الزائغ المتارجح ، لانني شربت كثيرا من الخمر هذا اليوم »

« حتى بدوت وكانني واقف على السقف . »

* * *

كان بايرون ، في التاسعة عشرة ، تلميذا في كلية (ترنتي) حين طبع اول مجموعة من شعره بعنوان « ساعات الفراغ » . نقد الديوان باسلوب لاذع ، فيه كثير من الحق ، وعدَّ من كتب الهواية غير الناضجة . وهذا « الوهن » من قبل النقاد الادبيين « للاعتراف بعبقريته » رمى بايرون في نوبة من الغضب . فحسب التعليقات اهانة شخصية وجهت اليه ، ومن اجل ذلك ثار لنفسه من « معذبيه » بقصيدة ساخرة هجائية بعنوان « شعراء انكليز ونقاد سكوج » جاء فيها : « استعدادا للقافية ــ سأنشر ما هو مخطىء ومصيب »

« لان موضوعي هم الحمقى ، فكيف لا تكون السخرية غنائي ؟ »

ولما ان عقر «الحمقى» بأغنيته الساخرة ، نفض غبار انكلترا من قدميه . لقد اصابه المرض من المجتمع فقال عنه : « انه صنع العبارات وقتل الناس » .

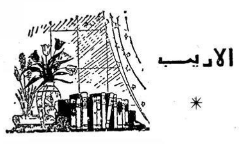
وصل القارة ، فانحدرت عواطفه عليها كالعاصفة . اجترح كل ضرب من ضروب الجنون ، واعترف بكثير مما لم يجترحه . سر ان يرسم اكثر سمرة مما كان في الواقع، الى حد انه رسم نفسه كذلك . ومما قاله بهذا الخصوص : « حدثني هوبهاوس باني اشبه قرصانا حقيقيا ــ وان جزءا من سفراتي كان المفروض فيها ان تمضي سرا . هيه ! ان الناس يكادون يصيبون الحقيقة في بعض الاحيان ... »

أشار يوما ، الى انه يحب ان يجرب شعورا كان قد غفل عنه الى ذلك الحين ــ ويعني بذلك شعور القاتل . كتب سر ولترسكوت « ان الرذيلة يجب ان تكون اكثر حشمة بعض الشيء » مشيرا في ذلك الى غلو بايرون في تعذيب نفسه . ولكن الحشمة كانت اقل فضائل بايرون أثرا . لانه كان في اشد الشوق لادهاش العالم بكبريت أعماله وسناء افكاره . وقد نجح في تحقيق ذلك وانجازه. ففي غضون ثلاث سنوات بعد اكمال « سخريته » ــ عاد الى انكلترا ــ وطبع « تشايلد هارولد » ، وهي نسخة شعرية من سفراته « فيها تحوير كبير » . كتب مؤرخ سيرته ، توم مور ، « كانت النتيجة كهربائية التأثير . »

وقد اوجز بايرون نفسه هذا الثناء الفجائي لعبقريته في هذه المفكرة المختصرة « تيقظت ذات صباح فوجدت نفسي مشهورا » . كانت هذه تجربة اراد بايرون التمتع بها الى تمامها ــ انه احب اعجاب الجمهور به وهو ذلك الجمهور الذي ناصبه المقت والكراهة . ثم كانت اعجوبة اخرى بالنسبة الى الجمهور بل قل بالنسبة الى بايرون نفسه ، اذ انه تزوج . ولكن الشقاء الذي اعقب هذا الزواج لم يدهش احدا . فبايرون لم يعرف معنى للاستقرار ، وزوجته كانت امرأة انكليزية اعتيادية من بنات يومها . لم تكن تعترف باقتراف خطيئة ولم تتساهل فيها او تغتفرها. الى حد ان بداية شهر العسل نفسه كانت بداية مشؤومة. فحالما ركب الشاعر العربة بعد حفلة الزفاف ، قال يخاطب عروسه « انت الان زوجتي وهذا يكفي لكي امقتك ، ولكنك لو كنت زوجة غيري لحملني ذلك على حبك . »

وطبيعي ان هذا النوع من الفكاهة المستكلبة لم ترق السيدة بايرون ذات العقلية الواقعية . اصابها الشك من ان بايرون لا بد ان يكون مجنونا ــ وقد تسيطر الشك عليها باستمرار حتى اضطرته الى فحص نفسه عند احد الاطباء.

الاديب



✳

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

✶

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✶

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكيوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 Tél.

✶

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ولما أكد لها الطبيب سلامة عقله اجابته « ربما يكون عقله سليما ، ولكنه مجنون اخلاقيا .» تركته فظل بايرون « واقفا بالقرب من المدفأة مع آلهة بيته وهم يرتجفون حوله ». ثم في « ثمالة هذا العمل المر » هبطت عليه ثلاجة من الاستنكار الجماهيري . ليس من اجل كفره حسب بل من اجل صراحته .

اعتقد الرجل الانكليزي بان الخطيئة ضرورة انسانية اما التكلم على خطيئتك موحشية شيطانية . ولذا فكلما دخل غرفة للرقص امر الرجال نساءهم تركها . ولكن هذا لا يكفي . فجو انكلترا نفسه أصر على الارستقراطية المرائية، ثم انه اعتقد بان الفساد سينجز وجوده ما دام هـــذا « القول » يسمح له بالتنفس .

ومرة اخرى حمل على ترك انكلترا ــ كيلا يعود ابدا. كان تركه لانكلترا حدثا جماهيريا . اذ انه لما سار الـــى سفينة في دوفر اجبر على ان يمر في حشد من المشاهدين. لبست السيدات الارستقراطيات ثياب الخادمات كيـــلا يلحظهن احد من الجمهور . جاءت المدينة باسرها . قدم الرجال ليلقوا آخر نظرة على الرجل الذي مقتوه واعجبوا به . اما النساء فقد صلين من اجل هدايته ــ ثم بحثن عن وسائل ذلك .

ولما مخرت السفينة في عرض القنال ، هبت عاصفة. فتبسم بايرون ضاحكا وقال « هذا من صنعي .. وكمـــا تعرف فان جدي كان اميرالا . وقد دعوه (الجو الهائج ، جاك) لانه كلما اقلع بسفينته حدثت زوبعة .»

تحولت الريح الشديدة الى عاصفة هائلة . وبـــدات السفينة تنجرف الى الصخور. فقبل المسافرون مسابحهم، واعدوا انفسهم للموت . اما بايرون فقد كان الوحيـــد الذي حافظ على اتزانه ورزانته . ومما قاله للمسافريـــن « كلنا ولدنا لنموت . والامر بالنسبة الي لا يعدو غـــير الحسرة ، ولكن من غير خوف ابدا . »

ولكن الوقت لم يحن لذهابه ، فقد تمكنت السفينة من العاصفة ووصلت كاليه بسلام . اشتاق كل من في الفندق لرؤية هذا الشاب الانكليزي الشيطان العجوز ، صغير في سني حياته ، كبير في تجاربه . ولكن بايرون لم يكن له من الوقت ما يخصصه للمعجبين به . لانه كان على موعد مع حبيبة هي ــ كلير جودون اخت زوجة شيللي . لقد كتبت اليه تطالب بموعد . ومما قالت في سيـــاق رسالتها « كثيرون من الغرباء عندهم من الحرية ما يجعلهم يراسلونك ... قد يبدو هذا التوكيد غريبا ، ومع هـــذا فاني اضع سعادتي بين يديك ... اعلم بانـــك مشهور بالجنون وسوء الخلق وبانك انسان مخطر ، ومع ذلك فانت تمسك بزمام مصيري ... »

رفض بايرون طلبها اول الامر . ولكنه عاد فانصاع الى ذلك . ثم تعين موضع اللقاء في جنيف . لقيها وكرهها

واحبها ثم نبذها بعيدا عنه . كتب الى اخته بهذا الصدد قائلا :

« والان لا تسخري من فتاة حمقاء ، اذ مع جميع ما افعله واقوله ، تقتفي اثري — او بالحري تذهب قبلي — لاني وجدتها هنا .. فانا لا يسعني ان اقوم بدور (الرواقي) مع امراة قطعت ثمانمئة ميل من اجل تخليصي من اسار الفلسفة .. » ومن هذه العاطفة المنحوسة ولدت طفلة دعيت (كلارا اليفرا) . وضعت هذه الطفلة في ملجأ ، وهناك نحلت مثل شجيرة عدمت العناية والرعاية ، فماتت في الخامسة من عمرها .

اراد بايرون ان يدفنها في الكنيسة في هارو الا ان حراس الكنيسة ابو تلبية رغبته . لانهم قالوا بعدم جواز هذا العمل ، اذ كيف يصح ان ترقد طفلة غير شرعية بجوار المسيحيين . وهكذا وضعت في قبر بعيدا عن مجتمع الموتى . كما اجبر ابوها على البقاء في منأى من مجتمع الاحياء . وبتحديه المعتاد خاب في اظهار جزعه على موت طفلته . ولكنه في احد المشاهد الرقيقة في (دون جواب) افشى بوصف عن والد وطفله الميت ، جاء فيه :

« وعليه انحنى سيده ولم يرفع قط عينيه من وجهه، الا انه مسح الزبد من شفتيه الشاحبتين ثم استمر يتطلع فيه ... فاضت روح الولد ، فمسك الاب الفخار .. ونظر اليه مليا ... ثم غرق هو نفسه وكله صمم وارتجاف . لم تبد عليه من دلائل الحياة غير رعشة في اطرافه . »

روح شفيقة من الحزن ، في جسم متعطش للذة ، هذا هو التناقض المشجي في شخصية بايرون . وفي جنيف لقي ذلك الشاعر الاخر ، الذي كان مثله في تناقضه . ولكن تناقض شيلي كان من نوع مختلف . فروحه ضيعت طريقها من جلال الجبال الى ظلال الوديان . لقد بحث عن الضياء متلهفا في عالم وجده غريبا ، غريبا ثقيل الظل مثل بايرون .

اصبح الرجلان صديقين حميمين . اعجب بايرون بشيلي ولكنه اشفق عليه لبساطته وسذاجته . وشيلي بدوره أعجب ببايرون الا انه تحنن عليه من اجل شكاسته. ذلك بان شيلي ادرك بان صلف بايرون لم يكن غير موقف تمثيلي قناع كرنفالي لاخفاء وجهه الحساس . وقد لحظ ان بايرون ، مع تعجرفه ، كانت تؤثر فيه الموسيقى فيبكي والحال معه في الشعر لا يختلف في شيء عن الموسيقى ، ولو انه اصر على كونه « شاعرا بالحرفة وقرصانا بالميل » .

ناجز بايرون التقاليد العداء ، كما ناجزها شيلي ، ولم يكن ذلك بدافع الالحاد بل بسبب الشهامة والسخاء . مقت الاضطهاد والتعسف من اي نوع كانا . كافح من اجل الطبقات المنحطة ، فوضع الخطط للثورات ، لاسقاط الطغاة ولتحرير « العبيد الذين يشنون الحرب للابقاء على قيودهم » حتى اذا كان ذلك ضد رغباتهم . فبايرون وشيللي ثائران جندا قواهما ضد العالم . ولكن بينا كان شيللي منارا للضياء والنور ، كان بايرون عاصفة دوارة .

لم يسعه النجاة من قلقه ، ومزاجه العنيف ، ورغبته الاكولة في التجارب قط . اعترف بذلك في « مانفريد » فقال : « لم أتمكن من ترويض طبيعتي » كان يجد دائما في البحث عن اثارات جديدة ، ومناظر حديثة ، وغوايات جديدة ، وخليلات جديدات واخطار جدد . كانت متعته الرئيسيــــة هي ان يلتقط المسرات في جنائن الاسر الارستقراطية » .

لقد استهدف الثمرات المحرمة في الحب الواحدة تلو الاخرى — ومن حصيده كونتس او كسفورد ، والليدي فرانسس ويبستر ، والليدي كارولين لام ، وماريانا سيلفاتي ، ولافورنارينا ، ربات بيوت وعذارى وخادمات حقيرات على حد سواء . كل اولاء النسوة سقطن ناضجات راغبات بين يديه المتشوقتين . فالحياة ، لكي تحتمل ، ينبغي لها ان تتحول الى سكر النسيان ولذا :

« دعنا نحوز على الشراب والنســاء ، والسرور والضحك فستأتينا المواعظ ومياه الصودا مدرارا فيما بعد»

حفلة عاصفة قصيرة الامد — هذه هي فكرة بايرون عن هذا العالم الذي هو اقل العوالم بعثا للرضا . قال بهذا الصدد : « سأعمل في منجم شبابي ، الى آخر عرق من المعادن الخام — وبعدئذ فلتصبحوا على خير . »

تحقق ما تامله في شخص الكونتس غيوشيولي . ذهب بايرون مع آل شيلي ليعيشوا جميعا في البندقية — وهذه مرحلة اخرى في سفرتهم اليائسة للخلاص من انفسهم . وفي احدى حفلات الاستقبال في البندقية ، لقي الكونتس الذهبية الشعر ، التي كانت متزوجة بالكونت الاشيب . وعندما استودع بايرون لاغيوشيولي ، تمكن من دس ورقة في يدها .

كانت هذه الورقة طلبا لموعد سري فلبت الكونتس سؤله . وبعد اسابيع قلائل ، ذهب آل غيوشيولي الى رافينا ، فدعوا بايرون ليزورهم هناك . جاء الى هناك ضيفا وظل في البيت كاحد افراد الاسرة . أغضى الكونت عينيه وسد فمه ببصيرته ، بينا كان بايرون يعزز مركزه ليكون سيد القصر وعاشق زوجته .

وفي الختام بدا لبايرون كانه وجد السعادة التي سعى من اجلها طوال حياته . كانت الكونتس الشابة بهية الطلعة سخية اليد ، حمقاء الطبع ، ومما اشار اليه بايرون بان هذه الصفات هي التي تجعل المراة ، اي مراة ، عشيقة كاملة . اما القصر الذي سكنوا فيه ، فكان غريبا رائعا ، يصلح للغراميات الرومانسية احسن ما يكون الصلاح . طنافس قرمزية ، ينابيع مرمرية ، « ارائك غاية في النفاسة، من الخطيئة الجلوس عليها» رياش ، رسوم، صور ، مزاهر، وفي وسط القاعة سلم من المرمر ، نقشت عليه مختلف

انواع الحيوانات ، التي تعيش معا ، ان لم يكن بانسجام فبحيوية – ستة كلاب ممتزجة مع خمس قطط ، ثلاثة حمير ، نسر ، ببغاء ، وصقر .

أشار بايرون الى هذه النقوش فقال : « ما اشد انسانية هذه المخلوقات ، وما اروعها من تأثير . » وذلك في يوم لحظ فيه المعارك بين هذه الحيوانات . ثم ان الخطر كان واقفا بالمرصاد لبايرون ، لم يكن مرد ذلك الكونت غيوشيولي بل الشرطة . فقد سمعت بانه يدبر المؤامرات لتحرير ايطاليا ، ومن اجل ذلك راقبت القصر ، وهددته بالقاء القبض عليه ، حتى انها لمحت الى اغتياله .

الا ان هذه الضجة باسرها لم تفعل شيئا غير وضع التوابل على مائدة حياته في رافينا . فهو لم يخش الموت وهذا ما دعاه الى القول : « نحن آل بايرون نموت شبابا . ولكنا حين نحيا نصرخ الى الامام ... ما اهمية النفس ؟ فليس الانسان الواحد ولا المليون يعدل شيئا بالقياس الى روح الحرية التي لا تقدر بثمن ... »

كانت ايامه ولياليه غير متناسقة، فيها كثير من الاثارة. اعتاد النهوض من فراشه في منتصف النهار ، والفطور في الثانية بعد الظهر ، وقضاء سائر النهار في الصيد او في نظم الشعر . ثم يتعشى في الثامنة ويستنزف بقية الليل في الحديث مع شيلي ، او الاجتماع باخوانه المتآمرين لتحديد الخطط من اجل تحرير الانسانية . ولم يكن ليذهب الى الفراش الا في السادسة صباحا .

كتب ، كما عاش بسرعة عاطفية محمومة . وقلما صلح ما كتبه . يقول في ذلك : « لم اعد النظر في اي شيء . فانا مثل النمر ان لم اجد اول ينبوع اعود ادراجي الى الغابة مزمجرا . ولكني اذا فعلت ذلك فسيكون فيه انهياري . » وعلى العموم نجح في القيام بذلك ، الامر الذي كان فيه شر التحطيم . لقد حطم تقاليد الجمهور وهاجم اوهامهم وخرافاتهم فدفعهم الى شراء كتبه ثم تبسموا بما فيها من محتويات ، واشتروا منها لاصدقائهم . ففي غضون يوم واحد استنزف الجمهور ثلاثين الف نسخة من كتاب « القرصان » هذا الديوان الذي لم يستغرق لانجازه غير عشرة ايام .

اما كتبه الاخرى شعبية تلقائية القبول . ولكن ربما كان « دون جوان » اكثر كتبه شعبية ، واقربها الى نفسية بايرون ، وهذا الكتاب ملحمة ساخرة كتبها في غضون ايامه العاصفة في قصر غيوشيولي . ودون جوان ، مثل معظم كتبه ، قصة شعرية وهمية لمخاطرات بايرون العقلية والجسدية . فيه نكات تستجلب الرقاد ، وفيه حكم سامية .

يقول تين بصدد الكتاب« انه عقد من اللآلىء الشرقية، مع وجود بعض الحبات الزجاجية فيه » وبطل هذه القصيدة ، شانه شأن بايرون يكافح مخاطر لا تقهر – المقت، الجور ، الظلم ، الاضطهاد ، الحرب . يمتلك دون جوان فضيلتين رئيسيتين – مظهر جميل وقلب قاس ، يذهب بايرون الى القول بان البيوريتان المتزمتين لا بد ان يعدوا هاتين الفضيلتين رذيلتين . فهل يسعك لوم الجمال لانه كذلك ، والسخاء لانه سخاء ؟

اما معايب دون جوان فهي نتيجة لرقته السخية . صحيح انه ينصاع الى ملاطفات الحب بسرعة. ولكنه لا يقل في انصياعه الى نداء الشقاء . فدون جوان ، كبايرون ، ابعد شيء عن الخبث والاحتيال . هو ضد الخبث في اي نوع كان ، سواء في ذلك المكر او عدم التسامح ، او الوحشية او الغزو ، او الرياء . وهدف بايرون الرئيسي من كتابة « دون جوان » هو هز العالم وايقاظه عن توانيه لكي يفكر في اموره ، وهذا ما استهدفه في كل كتبه . ومع شكه في كل شيء ، آمن ايمان المتحمس بقوة الكلمة .

« لان الكلمات اشياء ، فقطرة من الحبر ، ان سقطت مثل الندى ، على فكرة تحمل الالوف بل الملايين على التفكير والتأمل . »

ان الكلمة ستجعلك تفكر ، ثم ان الفكر سيحررك .

***

ان محبة الحرية كانت الدلالة الرئيسية في شخصية بايرون . كان قلقا دائما ، يبحث عن المخاطرة الجديدة ، والقضية الجديدة ، وهذا ما حدا به الى ان يرمي بنفسه بحماسة في وسط كفاح اليونان من اجل الاستقلال .

لم يكن هذا النضال متكافئا ، فكيف يسع المقاومة اليونانية ان تنازل قوة السلطان – ان اليونان تشبه طفلا يعارك شابا قويا . الا ان هذا النوع من النضال اثار في بايرون احسن غرائزه . ألم يتساءل يوما حين كان تلميذا في هارو قائلا :

« كم ضربة تنوي ان تنزل على هذا الزميل الصغير ؟» لماذا تريد معرفة ذلك ؟ « لانني ، اذا تفضلت ، ارغب تحمل نصفها . » .

تبرع بخمسين الف دولار لليونانيين ، ثم قدم لهم اعظم هبة في وسعه – انه قدم لهم حياته . انخرط في الجيش اليوناني في بداية سنة ١٨٢٤ . ثم لم يمض على ذلك سوى ثلاثة اشهر ، حتى لفظ انفاسه في ميسولونغي ، آخر الحصون اليونانية . كان في السادسة والثلاثين حين وافاه الاجل .

تحمل بايرون نصف الضربات . ومع انه لم يعش ليرى خاتمة النضال ، الا ان تضحيته كانت كافية . لان شعوب اوربا تكهربت بتأثير صنيعه . فتدفق المال والرجال من انكلترا وفرنسا وروسيا ، لنجدة القطر المناضل ، وبعد ثلاث سنوات من موت بايرون فاز اليونانيون بالنصر وبالاستقلال .

العراق – بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

لقيط

كان يتصور ان كل ما في الوجود يشاركه تساؤله !

•

َمــن ؟..
مــن أبي ؟
أمــاه ردي من أبي ؟
صوت يرن بخاطري ،
شبح يلوح لنــاظري
وكأنه يدعو معي :
أماه ردي من أبي ..
في طيف أحلامي اذا ليلي سجــا
والكون وسنان على أكف الدجى
وجدائل الصفصاف يرمقها القمرْ
عند الضفاف الغافيات من النهر
في عتمة الليل الحزين المفجع ..
راح الصدى يهذي معي :
أماه ردي من أبي ؟!
قرب الشواطىء ، فوق اهداب الرمالْ
وعلــى التــلال ...
همسُ النسيم على التلال ..
وظلال اشباح صغار
كانت تراقص فوق امواج البحار
كانت تردد في جنونْ :
« من ؟ من أبي ؟
اماه ردي من يكون ؟ »

ويظل وجهي في شحوب
وكأنه ورق الخريف
قد اذبلته العاصفاتْ !..
وفؤاديَ الملهوف مزقه النحيب ..
لا شيء غير الذكريات ..
فالامسُ ذاب مع اختلاجات الرياح
الامسُ مــات !!
وتفتحت مقلُ الصباح ..
فجر جديد ..
ويرن في ثغري النشيد :
اماه ردي من يكون ؟؟
وتجف في عيني الدموع
ويبح صوتي : من يكون ؟؟
صوتي يذوب !
لكــّن أمي لا تجيب ،
ولن تجيب ...
امي تموت !
فيموت سرا كــّل شيءْ
الا طيوف الذكريات
فالامسُ ماتَ .. الامس مات
لا شيء غير الذكريات !!...

بغداد • حسن البيــاتي

قصة مصرية

عــوراء

بقلم رضوان ابراهيم

° ° °

لم يبق ثمة دليل على الحياة في هذه الخربة التي تدعى دارا سوى صوت مبحوح ، يشبه عواء كلب طعين ، ينطلق من حنجرة الام ، متتابعا لا يقطعه الا اغماءة تطول او تقصر ، ثم يعود بعودة الوعي نادبا ، منتحبا ، عميقا ، كئيبا . . .

وقد اعتاد الناس ذلك ، حتى الفوه ، لا يلفتهم الا في الفينة بعد الفينة ، تعطفهم نزعة انسانية على هذه النادبة العاوية ، فيقدمون لها فضالات من طعام او جرعات من ماء ، ثم لا يسألونها ما تصنع، ولا يهدئون من عوائها، ولا يكفكفون من دموعها .

تلك حال اعتادوها منها منذ اختفت ابنتها أوائل الخريف ، فلم يعثر عليها الا جسدا مغفا بين دغل القصب ، وبجانبها جرة اوشك الرشح ان ينفد ماءها .

وعلى أثرها ذهب الشاب عبد الرحيم يترنح بين فكي المقصلة ، مخضب الراحتين والفم بدماء اخته الدنسة الخاطئة ، بعد ان شفى منها غليله .

وترجع الذكريات اصداء صاخبة لعشرين من السنين . . . يوم رزقت « سكينة» بطفلتها الاولى «سعدى» فسعدت بها على فقر ، ورضيت على خصاصة ، وراحت تلصقها بصدرها ، ذاهبة الى الحقول ، آيبة الى الدور ، تقضي سحابة النهار جانية للقطن ، او ملتقطة للنباتات الطفيلية من المزروعات ، كما تقضي امسياتها تحلب ابقار الجار الغني ، وتعلف مواشيه لتعيش ، وليعيش من عملها بعلها القعيد الذي كاد يقضي تحت انقاض المسجد القديم وهو يعمل في ترميمه .

واستطاعت ابنتها ان تحبو ، فنزلت عن صدرها ، وراحت تعيث في التراب ، فتركتها تزحف وراءها في خطوط القطن ، او تتدحرج حول حياض الارز المغمورة بالماء ، فتتلوث يداها ، ويلطخ وجهها ، وتتشبع ثيابها بالرطوبة الباردة ، وقد يحين رضاعها والام مشغولة ، فتنخرط الطفلة في بكاء مر طويل ، يدمي عينيها ، وينفخ اوداجها ، ويغمرها بالعرق الغزير ، والام الاجيرة لا تملك ان تفرغ لارضاعها ، انها تجهد وتكد لترضي صاحب الحقل الذي يشترط عليها مقدما الا تشتغل بابنتها عن العمل ، وقد يعزف عن استئجارها خشية ان تضيع وقتها في الانشغال بابنتها .. لولا الحاحها عليه في المساء السابق ، واستياقها الى الحقل في بكرة الصباح ، تتضرع ، وتلثم الايدي والارجل .

★ ★ ★

وتضع الام وليدها الثاني ، والطفلة لما تشتد بعد ، وفي غمرة اهمال الام ، وانشغالها بالوليد الذكر ، وغيرة الطفلة من شريكها الطارىء ، تصاب بنوبة هزال ، يتلوها طفح ينتهي برمد عينيها ، وتطول بها العلة ، وتصبح عيناها كربوتين بارزتين في وجهها ، لا يشفيهما لبن الام الذي تقطره فيهما كل مساء ، فتاخذ في استشارة عجائز القرية العليمات بكل دواء ، الطبيبات لكل داء ، وتختلف الوصفات بين الحار والبارد والكي والوشم .. لكن ذلك كله لا يجدي .

وينتهي المطاف الى امراة شيخ البلد ، فتشير بالعلاج المجرب : بعر حمارة سوداء يشوى على الحجر وتكمد به العيون حارا ..

وتتطاول الايام والعلاج لا يمنع البكاء المنتحب ، ولا القذى المتراكم ، ولا الحمرة القائمة التي تغمر بياض العين ، وتخنق سوادها .

وتمشي الام بعدما جاهدت لتوفر خمسة القروش ، تدخل بها على القابلة التي تستقبل الطفلة في جلجلة من الرقي والتعاويذ ، وسحابة من البخور الرخيص ، ثم توصي بزلال البيض يضرب بالشب ، وتضمد به العينان اياما لا ينفذ اليهما الهواء .

وتصنع الام ، وتصرخ الطفلة صرخاتها الحزينة العالية ليلها ونهارها ، لا تكف . وينجلي ثالث الايام مع الضماد ، فاذا دم متكور ملوث ببياض الشب مختلط بالقذى المتعفن تتلصق به الاهداب ، وتمد الام يدها تنظف وتزيل الاذى ، فاذا كتلة الدم تستعصي على الازالة ، وبين الصرخات العاوية تعالج الام باظافرها ، فاذا انسان عين الطفلة في يدها ، واذا محجر غائر دام كالحفرة الكالحة ، وتتجمع الجارات

على عويل الام نادبا منتحبا ، يجهدن جهدهن حتى تهبط اجنحة الرحمة في هيئة (حلاق الصحة) الذي يلعن الام وينهر الجارات ويعنف الجميع بانف شامخ وتعال مزهو ويرعب الطفلة ويوثق يديها ، ليملأ الحفرة الوامية بحفنة من مسحوق (الششم) ويطبقها فتنطبق عين الطفلة الى الابد .. وتسلم العين الواحدة .. وترضى الام رضاها المقهور ، فعين واحدة تكفي على مذهب الحكيم قراقوس !!

ترضى .. وان كانت هذه انثى .. وان كان عورها يشينها .. ولكن هكذا ارادت السماء .

وتدرج البنت ذات العين الواحدة على مهاد شائك من خشونة الفقر الكادح ، وتذهب بجلبابها الواحد دائما تجري يومها في خطا امها ، لتعود في المساء ، ترتق ما مزقته اسنة ابراج القطن الناهشة من جلبابها الواحد ، اما ما نهشت من جلدها فلا رتق له عندها ، الا سحيق التراب ، ترقرقه في راحتها لتكبت به الدم الذي يوشك ان يسيل .

وتغدو في بكرة كل صباح على المستنقع الواسع الآسن امام الكوخ ، تنضو القذى عن عينها المفتوحة ، أما يداها ورجلاها وشعرها وبقية جسدها ، فعار ان يمسه الماء ، او تناله النظافة .

اليست صبية .. او فتاة ؟ فلمن تتزين اذن ؟ ولما تتزوج بعد ؟

حذار ان يفارق القشف والتشقق يديها ورجليها ، والا فهي فاجرة ، تلفت اليها انظار الشبان ...

هكذا تتحدث نساء القرية العليمات بكل شيء .

★ ★ ★

وتخطو الفتاة في طريق الشباب خطوات ، وتروح تعمل مع امها جنبا لجنب ، وقد تذهب اياما للعمل وحدها ، فانها لفتاة قوية البنيان ، مجدولة الساعد ، تتقن العمل ، وتسرع فيه ، مما جعل اصحاب الحقول يتهافتون عليها دون آلام ، وقد تعمل في حقل وامها في آخر حسبما تقتضي الظروف .

ويدرج من خلفها الصبي عبد الرحيم ، تردفه على جناحها ، تدربه على العمل ، وتعركه عزكا خفيفا ، وتكلفه ايسر المشقة ، وتحتمل عنه اكثر شغله ، عسى ان يكون في قابل الايام سندها وعمادها .. انه اخوها ، تجهد في تدريبه ، وان اثقلها ببطئه ، واعسرها بغبائه ، وارهقها ببلادته وبلاهته التي جعلته هدفا لسخرية الصبيان الذي يشاركونه في العمل ، ولولا حماية حانية تلفه في شملها ، وتستأسد دونه ، لما رضي به صاحب حقل ، ولا كف عنه الصبية اذاهم وسخرياتهم المبلسة .

لكنه زاملها وزاملته على ما في زمالته من غبن ، فهو يتكيء منها على سواعد فتية ، تتولى عمله ، وتذود عنه .. وتتكيء منه على سمت من رجولة ، ترمز الى الحماية ، ومدافعة الفضول عن كنز انوثتها ، فاذا فارقته او فارقها ، نال كليهما مساس الفرقة .

لقد ارسلته ذات ظهيرة يجلب غداءهما من الدار لعرج اقعد امها عن ان تحمله اليهما كعادتها كل يوم ، واوصته الا يبطيء ، واحتملت عمله الى عملها في جني صفين من القطن معا دون ان تتأخر عن الركب ، فغاب ... وغاب ، وانتهت الفترة الموقوفة المخصصة لراحة الغداء ، ولم يعد ، وعادت الايدي للعمل ، وعادت هي الاخرى تعمل مع الجميع .. تعمل عملها وعمل اخيها الغائب ... تعمل بلا غذاء ولا امن ، يلهب معدتها جوع صارخ ، ويلهب فؤادها خوف مكروه متوقع ان يكرن الم بالصبي الذي طالت غيبته ، وتمضي الظهيرة . ويقبل الاصيل ، وهي تحتمل من الجوع والخوف والاجهاد ، وسخرية الساخرات ، ومغازلة الشبان ، صابرة متجلدة ، حتى عاد اليها ، مخدش الوجه ، ممزق الثياب ، مقرح العينين ، خالي اليد ..

انه قد مال في عودته الى صبية يلعبون في الطريق ، يشاركهم ، فلما اختلف عليهم ، انتزعوا منه كسرات الغداء ، واوسعوه ضربا ولكما ، وتخميشا ، ثم حثوا في وجهه التراب ، واتبعوه حصباءهم ، حتى غاب في طيات الطريق !!

وكان غيظها مكبوتا ، فلم تدر كيف تكافح سخرية من عاهتها ، ولا وقاحة من الشبان العادين على حيائها ، ولا معركة الجوع التي تئز في امعائها ، ولا فشل اخيها وخيبته في دفع العدوان او جلب القوت .

فانفجرت شهقاتها المكتومة تبلل خدها في كمد استبد بها ، فالزمها الارض ، واقعدها عن العمل اياما صريعة حمى راعدة ، مما اكره امها المريضة هي الاخرى ان تتوكأ على ساقها المهيضة ، وتحل مكانها في العمل حتى تفي بثمن كيلة الذرة الصفراء التي توشك ان تشتريها ، كي لا يحرم اربعتهم حتى الخبز القفار .

وتمضي هذه الحياة القاسية الخشنة تعتصر في قلب الفتاة ، وتلوي عنقها ، وتراكم الهموم والاتراح على فؤادها ، كما تتراكم الاقذار على اطرافها .

ولكن الشباب القوي الغلاب يقهر هموم الحياة ، ويمضي بها الى هدفه ، فيمتليء عودها ويلتف ، وينهد في صدرها رمانتان رجراجتان ناعمتان ، يوشك ان تنحدرا من فتحة القميص كلما انحنت تلتقط قبضة من القطن ، وتدافعان الثوب ــ اذا اعتدلت ــ عن بطنها الخميص ، وتكشفان الجلباب عن مقدم ساقيها العاجيتين ..

والتفت ساقاها ، وبرز منهما ما فوق القشف والتشقق ، فاذا عمودان من مرمر ملفوف ، تنبض فيه معالم الحياة ..

وطال عنقها وامتلأ كقطعة بلور صاف رغم خطوط العرق وثنيات التراب المحيطة به ..

واشراب راسها في ظلال فرع فاحم طويل مجدول .
ويدق خصرها كان قبضة اعتصرته ، فاهالت ملاسته وطراوته .

وترقرق في محياها دم رقيق استبد بسمرتهـا ، فأحالها الى صفاء الخمر ، وصقل وجنتيها ، فلمعتا في شفافية كمصباحين ينبئان ان خطر الشباب قد طاف هنا ، فاضفى الجلال والروعة ، ومنع الايدي المتطفلة ان تلمس ، والاكف الخشنة القاسية التي اعتادت ان تصفع .

وعاد الناظر الى هذا البدن الفائر يضل النظر ، ويحس رجفة تخفق بفؤاده ، وتدعوه للعشق .

وتلفت الذين يعايشونها ، فاذا هي غير من كانت ، جمال يبده اللب ، ويشده القلب ، ويقهر الفقر ، وينادي الحب .. لولا صدمة تفجأ المعجب ، اذا تلاقت عيناه بعينها المفقوءة التي منعت فيها الحسن ان يتيه ، وكبحت الجمال ان يعربد ، ومسحته مسحة المسكنة الكسيرة التي تستبدل بالحب عطفا ، وبالعشق شفقة تعصف بقلب الفتـاة ، وتسهدها ، وتبكيها خالية ، وتكسر قلبها بين القلوب السعيدة بنشوة الجمال ، المتعطشة الى الحب الحلال ، والعشق المشروع .

الفتاة جميلة بارعة الجمال ، رقيقة افتن الرقة ، حيية اكرم الحياء ، عفيفة سابغة العفة ـ لولا انهـا .. عوراء ! !

.. هذا ما يتسامر به الناس الذين يعرفونها كادحة في حقول دائرة يلتف محيطها حول خمس من القرى .

من ذلك تهافت المتهافتون حول جمالها المباح ، وتطلع اليها المعجبون من عشاق المتعة ، وتحاماها الخطاب وطلاب الزواج ، فان عاهتها تنفرهم من الاقدام .

وكاد الامر يهون لو انها دميمة ، اذن لكانت دمامتها وعاهتها متكاملتين ، وذهبت العادة باثنتيهما فلم تستوقف النظر ، فان القبح ليانس بالقبح ، كما يالف الجمال الجمال ، لكن الحسن والعاهة ولدا شيئا من التناقض النفسي لا يستساغ ، وكان عورها كاشارة الخطر تنبيء السابلة ان هنا حفرة ، فيتنكبون ، ويمضون الى بعيد ! !

ومسح الجمال مسحة حزينة من الحزن الحسير الصابر المتئد ، اليائس من المستقبل ، لانه ناقم على الماضي .

* * *

لكن الاقدار لم تدعها ترتاح حتى ليأسها ، فدفعت اليها فتى ساقته شجاعته ، او عطفه او حبه .. لا ندري ..

كما لا ندري ما الذي اغرى امه ان توافق بلا اعتراض على عاهتها كما تفعل بقية النساء .. اهو انسياق في تيار ابنها لارضائه : ام فقر في الفتاة زين لها رخص مهرها ؟
ام قدرت ان ستكون كسيرة طيعة ، وستكون جلدة تقوم بعمل البيت ، مدربة تشارك في اعمال الحقل ، مسخرة هي وامها لخدمتها واشباع نزعة السيادة التي تمنتها يوما ؟

كل ذلك او بعضه او سواه ربما طاف بالشاب وامه قبل ان يقدما والا ففيم اقدامهما ازاء احجام كل الناس .

وما عرضا بهذا الاتجاه حتى ابتهجت الفتاة ابتهاجا خجولا ، وفرحت امها فرحة غامرة ، وان قدرت انها ستحرم من كدها النافع ، ولا شك ان عظام الاب قد فرحت هـي الاخرى في مرقدها لهذا النبأ الذي سرى في القرية حتى اصبح حامد موضع انظار الناس في القرية والقرى الاخرى .. انسان واحد ابتأس لهذا النبأ هو عبد الرحيم الذي قدر ان صباحه سوف ينكسر حين يواجه الحياة وحيدا بدون سعدى ..

توددت سكينة الى ام الفتى ، وترددت على دارها تكفيها مئونة العمل ، فتجلب لها الجاموسة ، تكنس البيت وتغسل الملابس ، وتخبز العجين ، وقد تطهو الطعام راضية مغتبطة ، تمهد لابنها حياة المستقبل الهانيء الرغيد في قلب ام حامد .

واعتزمت ام حامد ان تجعل الخطبة حقيقة عرفية ، فدعت اقاربها يشركونها الفرحة والمسئولية ، وكان فـي المقدمة اختها الكبرى ، الخالة الشقيقة لحامد ، التي جيء بها من قريتها ومعها قماع السكر ، وزجاجات الشراب الاحمر ، والجلباب الحريري التقليدي . وعصائب الراس المطرزة بالخرز .. ووضعت كل ذلك في السلة الواسعة تهديها لخطيبة ابن اختها الوحيد .

ذهبت تحمل السلة على راسها ، وتختال في قميصها الكريشة الاسود الفضفاض .. الى بيت سعدى ، تملأ الطريق بالزغاريد المجلجلة ، والاناشيد الساذجة الموقعة على التصفيق ، يرددها الصبايا المرافقات من خلفها .

ويومها فقط كانت سعدى تصب الماء على يديهـا ورجليها متعمدة ، تنضو عنها الاكدار والقشف ، وانتظرت الخالة الملتهفة ان تجلي عليها العروس لترى رأيها ، وتشارك في عقد الخطبة وتباركها ، وتذيب بيدها السكر وتسقي الشربات التي نذرتها منذ ولد حامد ، ثم يقرأ الرجـال (الفاتحة) معلنين اتمام مراسم الخطبة .

وتطلع العروس في زينتها على الخالة التـي تبهـر لجمالها بداية ، ولكنها ما تقف لاحتضانها وتقبيلها حتـى يتعثر نظرها بالحفرة الغائرة في وجه الفتاة ، فتبهت ، وتتخاذل سواعدها الملتفة حول جيد الفتاة ، وتقعد واجمة ، ثم تتلوى متصنعة ذات الجنب ، ثم تصرخ ويعلو صراخها ، وتطول شكواها حتى يحل الوجوم ، وينفض الجمع ، وترجأ الخطبة ، وتحمل الى دار اختها ام حامد ، وهناك تسر اليها شيئا يوعز بمنع الخطبة ، والانصراف عن الفتاة ، وتقول لها فيما تقول :

« ... اجننت يا ام حامد ! ! كيف تزوجين ابنك مـن عوراء ، فتجني على شبابه ، وتسقطي بخته ، وتقسريه ان

يعيش حياته محدقا في وجه مشؤوم ؟ !
اكنست البنات بمكنسة ، فلم يبق الا هاتيـــك المنحوسة ؟ ما لبنت خاله الجميلة ، وبنت خالته الشابة ، وبنت فلان .. وبنت فلانة ؟ لا .. لا .. لا تجني عـلى شباب ابنك ، ولا تجعليه اضحوكة بين اقاربه ، وسخريـة لاترابه الشبان ..
ثم ماذا تصنع هذه العوراء في بيتك المملوء بالخير ، تحجل فيه بشؤمها ؟ وكيف تنجب هذه العوراء لابنك وكيف تربي اولاده ؟ ثم كيف تنكسر نفوسهم حينما يعيرهم الصبيان بانهم بنو العوراء ؟
وكيف يصنع حامد واولاده يومئذ اذا ثارت حشوة من تراب في العين السليمة فاتت عليها .. ايعيشون يومذاك ليجروا العمياء غادين رائحين ؟ لا .. لا .. حذار يا أختي ، فانك تصبغين بيت ابنك بلون السواد ! !
هكذا وسوست الخالة الى الام فاغوتها ، فسمعت ، واطاعت ، وصمتت ، واعتزمت امرا ..
وبكرت سكينة على بيت ام حامد ، تطمئن علـى المريضة ، وتصنع في البيت ما اعتادت ان تصنع كل يوم ، فلمحت على محيا الدار وجوما ، واحست العيون مشيحة عنها ، ويوما فيوما يزداد الفتور ليصبح امتعاضا وجفوة ، حتى ذهبت يوما فالفت امراة اخرى تقوم مقامها في دار ام حامد ، فانصرفت حائرة ، وانتظرت ثم انتظرت وهمسة ثم همست ، واخيرا تساءلت : متى تتم الخطبة المؤجلة ؟ وجاءها الجواب سريعا .. جاءها من يقول : تصرفوا فـي فتاتكم ، فان اهل حامد ارجأوا تزويجه !! ولم تفـلح السفارات في اتمام الزواج ، كما لم يتحدث احد عـن العائق الحقيقي الذي قام دون تمام الامر ، وان كان الجميع يعرفون .
اما سعدى ، فلما طال بها الانتظار عرفت بحاستها التي لا تكذبها ما وراء الاكمة ، فانزوت تبكي ، وتذبل وتندب تعاستها ، وتقاسي ما كتب عليها : ان تظل عذراء ، تحتمل في صبر او جزع .. في رضا او امتعاض ـ جناية الاقدار الكالحة .
وتعود تجرجر همومها من جديد .. الى الحقول .. حزامها في يدها ، وكسر الخبز على راسها ، والجلبـــاب الوحيد ، والشباب الحزين ، وذلة الهزيمة ، وجرح غائر في اعماقها .. بعد ما احتجزتها اشاعة الخطبة ، تمسكهـــا التقاليد التي تمنع الخطوبة ان تعمل ، وتحجبها عن الانطلاق والسفور . لكن الخصاصة والعري ، وصراخ المعـــدات الخاوية ، وفشل عبد الرحيم في كسب الخبز الجاف ـ تدفعها الى الحقول تدور فيها دورة اخرى مع القـــدر ، تكسب على امها ، وتنفض على الفضاء همومهـــا ، وان اصبحت هدفا مكشوفا للهمسات واللمزات ، وسخرية الساخرات ، وفضول العيون الجائعة .. وجها لوجه ! ؟
خرجت .. في قلبها جرح نازف ، وفي خيالهـــا تمددت جثة باردة لطيف زواج سعيد انتحر في مهده ! !

* * *

وكانت ظهيرة حمراء ..
تلك التي خرجت في قيظها سعـدى الى الحقول ، تلتمس اعواد الملوخية ، لتلهوج منها طعام الغداء ، وتجتاز حدا بعد حد ، وجسرا بعد جسر ، وتتنقل من حقل الى آخر ، واعواد الملوخية تعز ، وتتباعد ، فلا تكمل لها الكمية الكافية للطبخ .
وفجاة .. وعلى غير تفكير ولا تدبير ، تجد نفسها وجها لوجه امام حامد ، فان جولتها المتخطية قد حملتها الى حقله الذي يرويه الآن تحت ضربات القيظ ..
وترتعش عضلات وجهها المحتقن بالخجل ، ويعلو وجيب قلبها ، وتتسمر قدما ، وتفتح الدهشة المفاجئة فم حامد وعينيه ، ويبهت ..
وتستدير هي مطرقة صامتة ، لتعود .. لتهرب من هذه الخطيئة التي جنتها .. من القدر الذي حملها عنوة الى معبد الاحزان .. ماذا يظن بها ؟ ليتها صعقت .. ليت الارض ابتلعتها قبل ان يفكر حامد في قصدها .. قبل ان يشيع الناس انها مشت اليه ..
استدارت مرتبكة مذعورة ، لتهرب .. لولا صوت حامد المرتعش المتوسل ، يصيح من خلفها ، يستوقفها ، ويستعطفها ، فتتثاقل خطاها شيئا ما ، ولا تدري ماذا تفعل ، فيلحق بها ، يعتب ، ويعتذر ، ويتوسل .. وأحست في صوته نغمة الحب ، وبحة الندم ، وشكوى المجنى عليه ..
واستمعت في ثناياه الى عزيمة تصر ، وفكر يدبر .. واقسم ليخرجن من وصاية امه الى رجولته الناضجة ، ولا يطيع في امر قلبه مشورة الخالة ، ولا تحكم الام .

* * *

واتعدا .. وكان ميثاق ! !
وفي نوبة من الرضا المقتنع ، او الاقتناع المستسلم دمعت عين سعدى من فرح ..
ودعاها حامد لتاكل من ثمار بطيخه الذي غرسه بين شجيرات القطن ، وقدر ان ستأكل منه عروسه سعدى ..
وسارا يتعثران بين الخطوط والشجيرات ، وزلت قدم سعدى ، فانطرحت ، وانحنى حامد يساعدها لتنهض ، فاحس تيارا من حرارة يدها يسري في كيانه ، واحست تخاذلا في اعضائها اعياها عن النهوض ، وظل حامد ممسكا بيديها .
وصمتت ، وقد غمرت وجهها قطرات العرق ..
وصمت هو .. ويداه ما زالتا ترتجفان .

* * *

الحقول مستكينة لضربات الاشعة المتوهجة ..
والريح جائمة ، هاضت اجنحتها حرارة الظهيرة ..

والطريق البعيد هاجع ، كأن وقدته تلهب الاقدام والرؤوس ، فتتحاشى ان تقتحم جحيمه ..

لا حس .. لا حركة .. لا حياة هنا الا سعدى وحامد ! !

وسمع حامد وجيب قلب سعدى يملأ اذنيه نداء .

وفي دفقة الشهوة الصارخة في دمائه ارتمى يغمر وجه فتاته بقبلاته الجائعة المعربدة .

وفي حرارة صدرها ، وفورة بدنها انطلق نزق الشباب العارم يروي ظمأ الحرمان المستعر .

وانطلقت زوارق العمر تسبح تحت شراع الآمال الناعمة ! !

ورنت في اذنيها اصداء الوعود المصممة .. فانتشت وقرت ! !

وابرقت لعينيها الحالمة خيالات الزواج السعيد ،

* * *

والبيت الهادىء ، بعيدا عن عنت الام وشبح الخالة .

وترقرقت في هجير الحياة انسام السعادة الحالمة وطفحت كأس النشوة المترنمة .

وراحت سعدى في غيبوبة حلم ريان ..

ولم يبعثها من غفوة الحلم سوى الم طارىء يغمز جسدها ، وعرق بارد غزير يغمر وجهها ، ويضمخ بدنها ..

وتفتح صدرها على نفس عميق ، كانما آبت من رحلة بعيدة مضنية ، وتفتح عينها المثقلة على لون اصفر مثير يصبغ الافق .. ويئز في مسمعيها صفير الصمت .. عاليا .. عاليا كنفخ الصور ، وتضيق ، فاذا غير بعيد منها حامد ، مطرقا ، يسند جبهته الى راحته ، فلا يقوى ان يصعد بصره ، حتى لا يلتقي بناظرها ، وتقوم متخاذلة ، ولكنها في سرعة معجلة مضطربة وجلة ـ تصلح خمارها ، وتنفض التراب عن ثيابها ، فتعود اليها كفها مضرجة ، فترتاع لفجاءة جديدة ، وفي عجلة وارتباك تفحص ثيابها ، فتتراخى اعضاؤها ، ويشحب لونها ، وتلطم وجهها باكية ، ولكنها لا تنسى ان تجمع أعواد الملوخية المبعثرة التي سحقت بعض اوراقها ، واختلطت بالتراب من شدة ما ضغط عليها ظهرها المنطرح على الارض .

وترمي نظرة خاطفة مرتعشة الى الشمس في الافق ، وكأنها ترقب كم مضى من الوقت ، ثم تمضي في سرعة متعثرة نحو الدار .

وتنزوي اياما ، لا تفكر ولا تدبر ، ثم يطفو على صفحة فكرها وعود حامد ، فتمضي اليه مختلسة الخطو ، محنقة الصدر ، متوقحة متجارئة ، تعتب ، وتلوم ، وتستنجز .. وتسمع منه ، فتقر وترضى ، ثم لا يلبثان ان يجدا اقدامهما تقودهما نحو مكان ما .. نحو معبد الاحزان ، لقدر يراد بهما ، يعبان الكأس الحلوة المريرة التي شرباها يوما على اطلال صبر يذوي ، وعزيمة تتبدد .

وتتكرر غدواتها وروحاتها المختلسة ، فتتكرر الرواية .. ادوارها ، ومشاهدها ، وحوارها ، وممثلوها ، على ذلك المسرح .. تبدأ عاصفة ، ملتهبة ، عاتبة ، مستنجزة ، تلطفها الوعود الجميلة ، والغزل المخدر ، ويرخي ستارها الاستسلام المنتشي ، ثم يشيعها الندم الباكي المرير .

* * *

ويدوي غير بعيد هتاف زغاريد ، تعلن خطبة حامد الى عروس جديدة ..

ومرة اخرى ـ والى الابد ـ يتناثر قلب سعدى وتتبدد حياتها ..

ولم تكن حياة واحدة هذه المرة ، بل كانت هناك حياة اخرى ، تنبض في الاعماق ، فتزيد من فراهة بدنها ، وتشد صدرها الى الامام ، وتكوز ما تحت الصدر .

ومهما بالغت في التخفي والانزواء ، فان الثوب الواحد والفقر الفضاح ، وفضول الجارات يذيع ما تستر ويعلن ما تخفي .

وتهامس الناس ، وعلى وجوههم اثر اشمئزاز يعلن فضيحة .. وتوقحت النساء ، وتجمع الرجال ، ينهشون قضا عبد الرحيم ، ويحرجون صدره ، ويحجرون قلبه ، ويضرون وحشيته ، ويلقنونه الحيلة ، ويضعون في قبضته الموت ، يغسل العار ، ويمحو سطور الفضيحة .

قال الفتى الابله لاخته الرحيمة بكرة صباح : اذا عدت بالجرة من النهر ، فميلي الى قناة القصب ، وامضي على حافتها ، ثم انحرفي ذات اليمين ، فاني في انتظارك ، افرغ في كمك ما اختلسته من الجوافة التي تحبينها .

وانطلق الشاب يهيم في القرى ، يطارده شبح الاخت المهشمة الرأس ، والجرة المملوءة ، وتقوى في اثره شياطين الغواية .. تلك تستنجد وتستغيث ، وهذه تحرص وتتعدى .

وشيء واحد ينقذه من عواء الشياطين ، وضراعة الاستغاثة ، فيمضي الى المسؤولين ، يقص مأساة القصب ، وخديعة الجوافة ، وضربات الفاس المهشمة .. لا يزيد !!

وتدفن الاخت والعار هنا ، وتتأرجح جثة عبد الرحيم في الحبل هناك ..

ويسوى التراب على بريئين تعسين طاردتهما الحياة من وديان الفقر الى حدود الجريمة ، فالجأتهما الى اسوار الموت الاحمر ! !

ويطلع الصباح على جانبين يضطربان على امواج الحياة ..

اما احدهما فينعم بالدفء الحنون في مخدع العروس الناعم ..

واما الآخر فينعب مع الاحزان والجنون ، نعيب البوم في الخربات ! !

القاهرة **رضوان ابراهيم**

شتاء الجنوب

هذه صورة صادقة لشتاء الجنوب
الاردني هذا العام لقد كان شتاء عقيما ...



تنفس الصبح ،
وسرت صيحة القيظ ،
تدوي ، فوق كثبان الجنوب ،
وسالت اشعة الشمس ،
فوق الصخور البركانية .
وهناك ،
عند الغدير ،
انبطحت البقرة العجفاء ،
واخذت تمرغ جسدها في الطين !
وارسلت أسراب الغربان ..
صيحاتها المنكرة في خضم الفضاء ـ
وهي تحوم متباطئة ..
لتحط فوق أشجار الحور والشربين العارية .
وفي الحقل البعيد ،
جلس (عم سليمان) العجوز ،
ينفث (التتن) ، ويتأمل الافق المنقبض ..
بعينيه الكليلتين ..
(حنانيك يا لطيف !)
ـ ذلك ما كان يجول بخاطره .
لقد شح المطر ،
وانقبض وجه السماء !
حومت أسراب الغربان من جديد .
كانت في فصول الشتاء الماضية ..
تحلق ، وترتفع ،
تريد ان تغسل سواد أجنحتها بماء السحاب
ـ تحاول هذا ، في كل عام ..
لكن شتاء هذا العام
لم يجد حتى بسحابة واحدة
.. في ديار الجنوب ..

توقفت الطاحونة الوحيدة عن الطحن .
ـ كان صوتها يؤنس الوحشة
ويملأ فراغ الهدوء ..
لكنها لا تتكلم الا اذا التهمت حبا
ـ برا ، أو ذرة ، أو شعيرا .
وانطلق صوت الديك عاليا ،
في باحة تلك الدار العتيقة ،
وهرعت الدجاجات يجرين خلفه ،
ثم أخذن يفحصن الارض بمناقيرهن
وأرجلهن ،
علهن يجدن حبة بر او ذرة او شعير
ـ لكن الطاحون لم تزدرد منذ اسابيع
شيئا من الحب ،
فآثرت الصمت
ـ أما الديك ، فقد عاد يجرر أذيال الخيبة
امام الدجاجات ..
فانبطح على الارض الصلدة ،
ومدَّ جناحيه فوق الثرى ..
فوق الثرى ..
وأخذ يحلم : « ليس من العدل ، ان تتركنا
سيدتنا العجوز ، نبيت على الطوى .. »
ـ وسُمع صوت العجوز في بيتها تسعل ،
وتتمتم مبتهلة :
« حنانيك يا لطيف ! »
وهناك ،
في المكان الذي تربض فيه الصحراء
تجمعت أرجال الجنادب الصغيرة ،
واخذت تروي حكايات سلفها الصالح
ـ او الطالح ..
وتذكر ايامها في الجنوب
ودوَّت صيحة القيظ من جديد ،
فانتفضت الجنادب ،
واعترتها نشوة عارمة ،
فكأنما سمعت موسيقى علوية .
وفي وقت الهجير ،
ساد صمت مطبق ،
وانقبض الجو ،
فكتم الانفاس ،
واستبد بالمرابع
وقال (عم سليمان) :
« لقد ذهب الشتاء ..
فـ ... حنانيك يا لطيف ! »

القدس **احمد صالح الطيب**

في كلمات...

● استنبط البروفسور شوفالييه من ستراسبورغ مادة مقاومة للسرطان فعالة ، بعد خمسة اعوام من الابحاث وهي راديوفوسفات الكروم . وقد اعلن هذا النبأ في الجلسةالاولى للايام الطبية التي عقدت اخيرا بفرنسا . وقد أحدث النبأ ضجة ، واعتبر الخبراء بعد الاستماع الى تقرير البروفسور ، ان هذا الاكتشاف يجعل فرنسا تسبق البلدان الاجنبية بسنتين في عالم ابحاث السرطان .

وقد لاقت معالجة ٢٠٠ مصاب باورام خبيثة في ستراسبورغ بالراديو فوسفات الكروماملا كبيرا غير ان البروفسور ما زال يعملباحتراس اذ ان مادته لا تؤثر بنفس الفعالية في جميع الحالات .

● ذكرت المجلة الطبية التي تصدرها الجمعية البريطانية ان لا علاقة لمادة النيكوتين الموجودة في التبغ بسرطان الرئة ولكنها قد تكون عاملا مسؤولا عن تخثر الدم في اوعيته وقالت المجلة ولذلكفان المدخن يستطيعان يأمل فيالتخلص من الذبحة الصدرية وتخثر الدم اذا كان في الاستطاعة صنع لفافات خالية من المادة النكوتية واشارت المجلة الى ان في الامكان تدخين ورقة التبغ الخالية من النيكوتين ولكن المسرفين في التدخين سيشعرون بانهم يفقدون هذه المادة.

الزجاج امكن للمشاهدين رؤية هذه الكنوز الفنية في كل ساعة من ساعات النهار وتحت تاثير اي نوع من الاضواء بدون أي تشويه لشكل الصورة .

كما ان المصورين الفوتوغرافيين اصبح في امكانهم تصوير اللوحات الفنية بكل سهولة مستغنين عن تجهيز عدسات الاتهم التصويرية بالمصافي الضوئية لحجب كل انعكاس ضوئي في البناء وانعكاسات اشعة الشمس على اللوحات .

هذا وتظهر المتاحف في كثير من بلاد العالم اهتمامها بهذا الزجاج العجيب كما ان بعض الفروع الصناعية تظهر اهتمامها ايضا . ويدل مجرى التجارب الاخيرة عليه على انه توجد هناك طرق استعمال جديدة اخرى له . من ذلك مثلا ان مختلف طرق الاعلان الرسومية والخطية تبقى محافظة على شكلها اذا وضعت تحته .

وسوف ياتي اليوم يعم فيه استعمال هذا الزجاج في طرق الاعلان ، فلا يصعب على المتفرج التفرج على الاشياء المعلن عنها. ويتوقع المنتجون الالمان والفنيون لهذا الزجاج نجاحا عظيما في المستقبل ، عندما يعم استعماله في بلدان العالم .

● من اخبار المانيا الطبية انه تجري الانتجربة ادوية جديدة لمكافحة ارتفاع ضغط الدم .وقد توصلت المصانع الطبية من انتاج الريزربين ، والمهايدرازولين والهيكساميثونيوم وغيرها . والمعتقد ان تأثير العلاجين الاولين يكون مباشرة على المخ ، اما الهيكساميثونيوم فله تأثيرهالقوي لتخفيض ضغط الدم بتعطيل مرور الاشارات العصبية في المخ الى المراكز العصبية الاخرى التي تسبب ارتفاعا في ضغط الدم .

● غادر ضابط بوليس سابق في سيلان لندن على « موتوسيكل » قاصدا كولومبو ، ليختبر قيمة الفيتامينات في زيادة مقاومة الانسان للاجهاد .

ويعمل الضابط السيلاني السابق واسمهجايا سنجهام ارمسترونغ ، في معمل للصيدلة بلندن الان ، وسيبعث طوال رحلته بتقارير منظمة عن صحته وغذائه . ورد الفعل الذي يتركه التعب والاجهاد في جسمه ، فيتولىفريق من الباحثين البريطانيين دراسة تقاريره .

وسيحقن ارمسترونغ نفسه بفيتاميناتكالتي تنتجها بريطانيا لبلاد الشرق الاوسط وتستمر رحلته خمسة وستين يوما ، يقطع خلالها ساحل شمال افريقيا . ويمر بمصر والاردن وسوريا وايران وافغانستان والباكستان .

● تضمن العدد الاخير من نشرة الهيئةالصحية العالمية دراسة عن مرض فيروسي لم يفطن العالم الطبي لاهميته اخيرا وهذا المرض ـوهو الالتهاب المخي السحائي ـ يصعب جدا في بعض الاحيان تمييزه من شلل الاطفال (الذي يسمى علميا بالتهاب السنجابية النخاعية) ولقد كان من المستحيل ـ في طائفة من حالات هذا المرض سجلت في الدراسة المذكورة تمييزه من شلل الاطفال ، لا من الناحية الاكلينيكية ولا من الناحية الباتولوجية (-المرضية) ولا يمكن الوصول الى تشخيصه الصحيح الا في معمل الفيروسات .

وقدقام بالدراسة المذكورة احد عشراخصائيا في الامراض المعدية والميكروبيولوجيا ينتمون الى ست من دول اوربا واميركا الشمالية ، وقد لفتت الانظار الى اهمية الامراض الفيروسية التي لا تفتأ تزداد يوما فيوما .

والظاهر ان نوعا من القراد هو الناقل الرئيسي لهذا المرض . وهو مرض خاص بالريف والجهات المكسوة بالاشجار ويصيب صغار السن والبالغين عادة فيما بين العاشرة والثلاثين من العمر .

● اعلن الدكتور تيودور والشن امام مؤتمر الاتحاد الطبي الاميركي بان الدوائر الطبية في الولايات المتحدة تدرس الان ايجاد لقاح لمقاومة التهابالانف والحنجرة. ويقول الطبيب المذكور ان هذا اللقاح سيعطي نتائج طيبة .

● عقد مجلس الاطباء اجتماعا في وشنطن قرر على اثره باكثرية ٨ اصوات ضد ثلاثة ان لقاح الدكتور سالك ضد شلل الاطفال لا ينطوي على اي خطر وطلب المجلس ان يستمر برنامج تلقيح الاطفال في الولايات المتحدة بدون ادنى تاخير .

● عرض للمرة الاولى في المؤتمر الطبي السنوي في المانيا مصل واق من شلل الاطفال يمكن الاعتماد عليه ، وقد قامت بصنعه معامل ـ بيرتك الالمانية فيمدينة ماربورغ على طريقة المصل الذي صنعه الدكتور ـ سالك الاميركي ، ومما يذكر ان الدكتور سالك قد استعان في اكتشاف المصل الذي قام بصنعه بخبرة الاختصاصي ـ رومر ـ الالماني وهو مساعد بيرنك سابقا ، وكان يقوم بابحاث في هذا القبيل قبل الحرب العالمية الاولى . اما المصل الالماني الجديد الذي صنع علىطريقة سالكفانه قد صنعبعد التعديلات التي ادخلت عليه وجعلت له مفعولا قويا مضمونا كما هي الحال في سائر انواع الامصال الالمانية الاخرى .

وكان البروفسور ـ هاس ـ مكتشفالمصل الواقي من مرض شلل الاطفال ورئيس قسم الابحاث في معامل ـ بيرنك ـ الالمانية اول من استعمله فقد عمد الى تطعيم ابنته البالغة العاشرة من العمر ، ثم طعم بقية اطفاله به . وقد حضر هذه العملية نخبة من العلماء الالمان من الاختصاصيين بمرض شلل الاطفال .

ومنذ ذلك الوقت اصبح هذا اللقاح الالماني في متناول اليد وكان ان لقح الاطفال به في مستشفيات الاطفال في مدينة ماربورغ وفرانكفورت وكوتينكن .

ولم تقف الحالة عند تلقيح الاطفالفحسب ، بل اخذ ينتشر استعماله بين عمال الفبارك الكبرى وموظفيها مع اسرهم .

● اتضح ان المثابرة على استعمال لبنسلين تخفض نسبة الفيتامين « C »في الدم .

● يهتم الاميركيون كثيرا باعصابهم ويحاربون كل ما من شأنه ان يؤثر على صحتهم في تلك الحياة الصاخبة التي يحيونها .

ويؤكد علماء النفس ان عدو الانسان رقم واحد هو الضجة . ولذلك فان ابحاث العلماء الاميركيين تدور كلها اليوم حول الضجة وتاثيرها السيء على عقل الانسان .

● تقول لجنة الاطباء التابعة للجنة الملكية الطبية البريطانية ان عدد المصابين بالامراض العقلية في بريطانيا يبلغ ٣٠٠ الف شخص . وتقترح اللجنة اتخاذ تدابير اجتماعية لايجاد علاج أفضل لهؤلاء المرضى البائسين .

● ابلغ المستر كلارك رئيس المجلس البلدي في غانستيبل في الشمال الغربي من انكلترا ، قيادة السلاح الجوي البريطاني ان صــوت الطائرات النفاثة المقاتلة التي تفوق سرعتهـا سرعة الصوت تسبب اصابة المسنين بالسكتة القلبية عندما تطير على ارتفاع منخفض .

● شفي في لندن رجل في الواحدة والخمسين من العمر وعادت اليه الحياة الطبيعية بعد ان ظل زهاء ٤٠ عاما حيا ميتا .

فقد اصيب وهو في سن الحاديـة عشرة بالحصبة التي انتهت به الى الشلل . وظل اهله طيلة ثماني سنوات ينتقلون به مــن مستشفى الى عيادة على غير طائل واخيراً اجريت له صدمة كهربائية خلفته اعمى ابكم .

ثم مات ابوه وامه . وبعد موت الام ظــن احد الاطباء ان الصدمة النفسية التي اصيب بها الرجل بسبب وفاتها قد تزيل تأثير الصدمة الكهربائية . فنقله الى مستشفاه وبدأ بعلاج طويل يعاونه بعض الزملاء على اساس الميكانو تيرابيا ـ العلاج الميكانيكي ـ والتدليــــك البصري .

وبدأت المعجزة تتحقق شيئا فشيئا وقــد اصبح شارلي اليوم رجلا عاديا . وقد حافظ على حيويته فهو يبدو اصغر سنا ، لكنه لــم يعد يذكر شيئا عما جرى في الاعوام الاربعين الماضية .

● منحت جمعية القلب الاميركية السيــد جورج فواز من الجامعة الاميركية فـي بيروت مبلغ ٤ الاف و٧٢٥ دولارا لتمكينه من متابعة دراسته عن القلب ومعرفة مقدرة القلب وتفاعله الكيميائي عندما يتأثر بعدد من المواد الكيميائية.

وهذه المنحة هي واحدة من اصل ١٤٩ منحة يزيد مجموعها عن ٧٢٤ الف دولار تقدمــت بها جمعية القلب الاميركية لعدد كبير مــن العلماء الذين يدرسون داخل الولايات المتحدة.

● يستخدم المعهد الطبي التابع لقوات الجو الملكية البريطانية جهازا علميا جديدا للتحري عن اثر قوة الجاذبية او الثقل النوعي الـذي يجعل الطيار يغشى على بصره فلا يرى امامه لفترة من الزمن عندما يغير اتجاه سيره بسرعة كبيرة . ويوضع الطيار الذي تـجري عليـه الاختبارات على مقعد من الجهاز فيدور بسرعة ١١٥ ميلا في الساعة على اساس مبدأ « القوة الدائرية »وستساعد الالة الجديدة في مواصلة الابحاث المتعلقة بمعرفة اسباب هذا الحادث الذي يحصل للطيار وفي ايجاد معدات ترمي الى تحقيق سلامته ورفاهه ونشـاط اعماله وفعاليتها لاداء مهماته بضبط ودقة .

● تقول لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان الانواع الخمسة من اجهزة التفاعل الذريةالتي انتجتها المصانع الاميركية يمكن استخدامهـا على نطاق تجاري . ويستخدم بعض انــواع هذه الاجهزة لتوليد القوى الكهربائية .

● اعلن ان ١٠٠ شركة صناعية اميركية و٥٠ منظمة تربوية وتثقيفية ستمثل في المعـارض التي ستقام في مؤتمر الذرة من اجل السـلام الذي سيعقد في جنيف مــن ٨ حتــى ٢٠ اغسطس الحالي .

وصرح السيد لويس ستروس رئيس لجنـة الطاقة الذرية الاميركية بان هذه المساهمـة هي دليل واقعي على مشاركة الحكومــــة والشركات الخاصة فيتسخير الذرةلاستخدامها في اغراض سلمية . وقال ان الحكومة الاميركية ستعرض جهازا للتفاعل الذري لتوليد الطاقة الكهربائية وان الشركات ستعرض ١٠ موديلات من اجهزة التفاعل لتوليد الكهرباء والتنقيب .

وستعرض ايضا نماذج عديدة من الخدمات الذرية في الميدان الطبي والصناعي والزراعي وعلم الحياة وغيرها .

● تقوم شركة الحركات الاميركية ببناء عدد من المصانع الذرية النقالة التي يمكن ارسالها بطريق الجو الى الاماكن البعيدة في العالـم لتوليد الكهرباء والحرارة . وتبني الان الشركة مصنعا من هذا النوع للجيش الاميركي .

● صرح هنري جاكسون رئيس لجنة مجلس الشيوخ الفرعية الخاصة باستعمال الطاقـة الذرية في الاغراض العسكرية بان الولايات المتحدة ستتمكن في وقت قريب من صنــع نوع من القذائف تنفجر بعيـدا في الجــو مخلفة وراءها طاقة ايدروجينية تستطيــع تدمير اسطول جوي معاد باكمله . وقال ايضا ان الولايات المتحدة قد تنتج في القريـــب العاجل قذائف ليست موجهة تستطيع الانطلاق مدة ثلاثين دقيقة وتصيب بدقة متناهية عـلى بعد خمسة الاف ميل .

● عادت الغواصة الذرية نوتيلس الى قاعدتها في امريكا بعد قيامها برحلة استغرقت ستة اسابيع قطعت خلالها مسافة ١٤٠٠ ميل تحت المياه . وقد اثبتت جميع التجارب والتمرينات التي قامت بها حتى الان فوق المياه وتحتهـا ان هذه الغواصة هي من اهم ما يعتمد عليـه للدفـاع .

● خول مجلس النواب الاميركي لجنة الطاقة الذرية انفاق مبلغ ٢٥٧ مليون دولار فــي السنة المالية القادمة على الانشاءات وصنــع اجهزة التفاعل الذرية بما فيها تخصيص ٥ ملايين دولار لاجهزة التفاعل للابحاث الطبيـة التي ستقدم للبلدان الاخرى بموجب توصيات الرئيس ايزنهاور .

● اصيب عدد كبير من الاشخاص بجــراح نتيجة لانفجار حدث في مصنع يقوم بالابحاث الذرية في مكان يبعد عشرة اميال عــــن نيويورك .

● حضر العلماء الذريون من ١٢ بلدا الاجتماع الذي عقدته اليونسكو في العاصمة الفرنسية لبحث بعض نواحي النشاط الذري فيالميدان السلمي . والدول التي مثلت في هذا الاجتماع هي البرازيل وكندا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة واليابان واســوج ويوغوسلافيا والنروج والاتحاد السوفياتي .

● صرح المسيو رولو مدير الابحاث فــي المكتب الفرنسي للاشعاعات الذرية بان الغبـار الذي تثيره الانفجارات الذرية قد يخفف مـن حدة اشعة الشمس لمدة طويلة وقال لقد تبين ان القنبلة الهيدروجينية او القنبلة الذريـة تثير غبارا لا يقل عن ذلك الذي ينتج عن ثورة البراكين وقد ثبت ان غبار البراكين يخففحدة اشعة الشمس لمدة سنتين واشار المسيو رولو الى انه في الوقت الذي يبدو فيه ان المواد المشعة لا تؤثر في سقوط الامطــار تستطيع القنابل الذرية التي تنفجر في المناطق القطبية تغيير الطقس عن طريق احداث اضطراباتجوية بواسطة دخول الهواء الساخن الى المناطــق الباردة . واشار الى ان تفجير عدد من القنابل في تلك المناطق قد يؤدي الى احداث تغيير كلي في الاحوال الجوية في فرنسا .

● ستجري في امريكا خلال هذا الصيف تجربة بطارية تستمد قوتها من نور الشمس وذلك لتزويد مراكز خطوط التلفون في المناطق الريفية البعيدة بالكهرباء ، وتحول هذه البطارية نور الشمس الى قوة كهربائية بواسطة عدد من اسطوانات سيلكون .

● صنعت شركة نابير البريطانية ثلاث محركات جديدة لطائرات الهليوكبتر وقد خرجت من اللائحة السرية الى ميدان العمل وهذه المحركات هي من قوى مختلفة وتقوم على الغاز التربيني وتمتاز بتصاميمها الجديدة التي تستغني عن بعض قطع هندسية كانت تستخدم في المحركات النافورية السابقة كما انها تتفرد بسهولة المحافظة عليها وبعدم اهتزازها اذ ان هذه الميزة تعتبر شيئا ضروريا لطائرات الهليوكبتر بنوع خاص .

● تم في كفنتري من اعمال الجزر البريطانية انشاء نفق بلغت تكاليف بنائه مئتي الف استرلينية لاختبار الطائرات فيما يتعلق بتغلبها على الحاجز الحراري ، بعد ان تم انتصارها على الحاجز الصوتي وباستطاعة الطائرات في هذا النفق ان تسير بسرعة تعادل ثلاث مرات سرعة الصوت وسيستخدم ايضا لاختبار القذائف المسيرة ومحركات الطائرات النافورية البالغة السرعة واختبار الطائرات التي سيتم اختراعها في المستقبل والتي تصل سرعتها الى الفي ميل في الساعة . والمعلوم ان ارتفاع الحرارة التي تتولد من سرعة الطائرة عبر الهواء ومن احتكاكها به قد تودي الى تشويش اجهزة الطائرة ونظام تركيبها .

كما تجعل جهاز التنفس او الجهاز الذي يجلب الهواء الى داخل الطائرة من المحرك غير صالح للقيام بوظيفته .

● اعلنت شركة رولز رويس عن اختراعها جهازا جديدا يستخدم في الطائرات النافورية ويخفض الضجة فيها لدى اقلاعها عن الارض او ابان تحليقها الى النصف تقريبا ومن شانه انه لا يؤثر في حال من الاحوال على سير الطائرة وسهولة قيادتها . وعندما يتم تحقيق الغاية المنشودة القصوى من هذا الجهاز سيجري صنع محركات نافورية جديدة معدة به .

● اخترعت مؤسسة الابحاث الكيمائية في كالوغا بروسيا نوعا جديدا من عيدان الكبريت ذات رأس كبير وتنتج هذه العيدان حرارة فائقة وتستمر في الاشتعال حتى تحت الماء وستباع هذه العلب الجديدة من الكبريت في المناطق الشمالية حيث تكثر العواصف والامطار .

● سيعرض في الاسواق هذا الصيف كرسي مكيف بالهواء . فعندما يجلس احد على الكرسي يضغط المقعد على زر كهربائي فتدور مروحة في الداخل وتبعث الهواء البارد من ثقوب مقعد المطاط الذي يجلس عليه الشخص .

● اعلنت مؤسسة البترول الاميركية ان البترول قد اصبح مؤخرا من اهم المواد لصنع الورق ، فخيوط المواد البترولية اصبحت تستخدم للمرة الاولى في صنع الورق . وهذا الورق الجديد اقوى ٣ الى ١٠ اضعاف من الورق العادي المصنوع من الخرق ولب الشجر كما انه مقاوم للمواد الكيمائية والبكتيريا وتأثيرات النور .

● اقامت جمعية الفيزياء الملكية البريطانية في الكلية الامبراطورية معرضا للاجهزة العلمية كان في جملتها جهاز نقال يسجل الرسائل التي تمليها عليه ويعيد قراءتها من اية نقطة معينة تشاء وتحددها له ويجري التصليحات والتصحيحات التي تدخلها على الرسائل اذا وددنا تنقيح اية عبارة او كلمة فيها ولا يستهلك من الطاقة الكهربائية الا جزءا يسيرا لا يتجاوز ما يستهلكه منها مصباح عادي نستعمله في منازلنا للقراءة .

● اذاعت وزارة الزراعة الاميركية انهاتمكنت من صنع لقاح جديد للدجاج هو من القوةبحيث يقضي على افتك الامراض التي تتعرض لها الدواجن وهو المرض المعروف « بمرض الكبد » الذي يفتك بالدجاج كما يفتك السرطان بالانسان .

ويجري الان تجربة هذا العقار الجديد لتتبين المراجع المختصة من فعاليته قبل التوصية باستعماله على نطاق واسع . فقد دلت الاختبارات التي اجريت عليه حتى الان انه يعطي الدجاج الذي يتلقح به مناعة كبيرة تنتقل من الدجاجة الملقحة الى افراخها .

● يستعمل المزارعون الذين يقيمون بالقرب من مصانع الالومنيوم بامريكا احدى نفايات الصناعة كمصدر من مصادر الجير (الكلس) لمحاولة تعديل حموضة التربة وتسمى هذه المادة (براون مد) اي اللون البني وهي احدى الرواسب الناتجة عن استخراج الالومنيوم من تراب البوكسيت وكانت المصانع تجد في تصريفها او التخلص منها صعوبة كبرى .

وقد دلت التجارب الزراعية التي قامت بها محطة التجارب في بلتسفيل (مايلاند) على صلاحية هذه المادة لاصلاح التربة واتضح انها لا تقل جودة عن الحجر الجيري او الجير المطفيء .

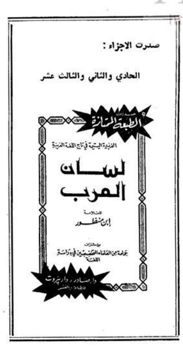
● فرغ المستر لونك خبير مؤسسة الغذاء والزراعة من دراساته الخاصة بنباتات المراعي في العراق وتأثير البيئة عليها وقد تقدم بخلاصة وافية في هذا الموضوع الى وزير الزراعة الذي اخذ ينظر في جملة الاقتراحات والتوصيات الواردة فيه لوضع منهج شامل للاستفادة من المناطق التي يمكن استصلاحها وجعلها مراعي ذات شان في تحسين حالة المواشي والاغنام الصحية وتربية وتكثير الاصناف الحسنة منها .

● قامت مؤسسة الغذاء والزراعة اخيرا بشحن مقدار من سمك التلابيا الكثير التوالد لتربيته في كوريا .

والمعروف عن هذا السمك العجيب ذي الطعم اللذيذ انه يتكاثر في سرعة عجيبة اذا امكنت تربيته في احوال ملائمة اذ يقدر ان زوجا واحدا منه يتوالد خلال عام فيبلغ عدد الاسماك الناتجة منه ما لا يقل عن ١٠ الاف .

وقد اجرت هيئة الاغذية والزراعة تجارب ناجحة لتربية هذا السمك في احواض زراعة الارز في مصر .

● غاد الى دمشق الدكتور محمد علي صبري مدير المعادن والمقالع في وزارة الاشغال العامة والمواصلات بعد ان مثل الحكومة السورية في المؤتمر الرابع للبترول الذي انعقد في رومة خلال الشهر الماضي وبحث مع الهيئات المختصة في القضايا الفنية المتعلقة باستثمار الغاز الطبيعي المكتشف في محافظة الجزيرة بسوريا .



وصرح مدير المعادن بان المؤتمر المذكور كان اعظم مؤتمر دولي علمي عقد حتى الان ، فقد اشترك فيه ممثلو اربعين دولة من مختلف اقطار العالم وحضره ممثلون رسميون عن مصر والمملكة العربية السعودية وسورية وبلغ عدد المشتركين فيه اربعة الاف شخص من العلماء والاختصاصيين في القضايا الجيولوجية والجيوفزيائية والبترولية والسبر والكيمياء والفيزياء والهندسة .

وناقش المؤتمر ٤٥ بحثا في الاساليب الجيولوجية والجيوفيزيائية الحديثة والاكتشافات والنظريات التي توصل اليها العلماء من مختلف انحاء العالم ثم عالج قضايا المنتجات الكيميائية في خصائصها وتطبيقاتها وبحث ٢٥ موضوعا ودرس ٣٤ موضوعا يتعلق باستعمال منتوجات البترول كالاسفلت والحمر والزيوت المعدنية وعالج قضايا النقل بواسطة الانابيب ومكافحة الاتكال والتوزيع وتهيئة الاختصاصيين في ٤٧ جنسية . ولما كانت هذه الابحاث والمواضيع كثيرة فقد قسمت اعمال المؤتمر الى تسع شعب يختار العضو المشترك الشعبة الملائمة لاختصاصه .

كما اطلعنا في هذا المؤتمر على جميع القضايا البترولية وحققنا الدعاية الصحيحة لبلادنا وعرفنا العالم البترولي بامكانيات سورية في ميدان البترول والغاز الطبيعي وتحقيقه استقرار البلاد السياسي وبواقع التشريع المعدني في سورية وصححنا المعلومات الخاطئة التي يحملها الاجانب عن عدم وجود البترول في سورية واثبتنا بالادلة العلمية ان سورية تعد جزءا من الوحدة البترولية في الشرق الادنى .

وناقشنا مع اعضاء المؤتمر قضية تكرير النفط وضرورة انشاء المصافي في البلادالعربية وخصوصا في سورية اذ لا يجوز ان ينقل النفط الخام من بلادنا ويصفى في البلاد الاوروبية بعشرات المصافي ثم يعود الينا مكررا لنشتريه بالقطع النادر بينما يترتب على الشركات ان تكرره او تكرر معظمه في بلادنا لتساهم البلاد العربية على الاقل فيشيء من صناعة البترول التي يزاولها الاجانب على حسابنا في الخارج .

ونرجو ان تدعم الحكومات العربية المنتجة او التي يمر النفط باراضيها هذه الناحية وتحمل الشركات على تكرير بترولنا في اراضينا لما في هذا العمل من تشغيل اليد العاملةودعم اقتصاديات البلاد وتشجيع الصناعة ورفع مستوىالاختصاص وتوفير المحروقات للجميع .

● اكتشف علماء جامعة نبراسكا بامريكا بقايا هيكل سلحفاة مائية طولها ٣٥ قدما كانت تعيش على الارض منذ اكثر من ماية مليون سنة .

● صدر كتيب في بريطانيا لمناسبةالاحتفال بالذكرى المئوية لتاسيس مركز التنبؤاتالجوية جاء فيه الحديث عن امكانية معرفة هذه الاحوال قبل شهر من الزمن .

ويذكر الكتيب ان العلماء يحصرون اهتمامهم الان في استخدام دماغ الكتروني لمعرفة احوال الجو للمستقبل ووضع خرائط لهذه التنبؤات القادمة . وعلى الرغم من ان هذه القضايا لم تتاكد كليا وبصورة ضمنية تامة بيد ان النتائج التي توصل اليها العلماء حتى الان تعتبر على جانب كاف من الدقة يمكن معها خدمة مصلحة التنبؤات الجوية اذ ان العلماء يقدرون لها نتائج اولية مشجعة .

وستقيم المصلحة المذكورة عدة معارض في بريطانيا لهذه الغاية تظهر فيها مختلف الاجهزة العلمية الخاصة بمعرفة الاحوال الجوية وبين هذه المعارض معرض يقام في لندن واخر في مانشستر وكذلك في برمنفهام وكرديف، وتجدر الاشارة هنا ان اول مصلحة خاصة بهذه الشؤون قد دشنت عام ١٨٥٥ .

● وقفت بعثة السلاح الجوي الملكي البريطاني الموجودة في البنجاب الان على اثار رجل الثلج الرهيب .

فقد صرح رئيس البعثة الليوتنان كولونيل سميث في تقرير الى وزارة الطيران ان الشاويش ليز ، واحد الادلاء وهو نفسه شاهدوا طريقا يسير عليها حيوان خارق الضخامة على ارتفاع ٤٠٠٠ قدم . وقال رئيس البعثة ان هناك اثار اقدام طولها ٣٠ سنتم بعرض ١٥ وقد دل الفحص على ان هذه الاثار هي لقدم ذات خمس اصابع . وقد انفرست اقدام الحيوان بعمق ٢٥ سنتم في الثلج بينما لم تكن اقدام البعثة تنغرس اكثر من ٤ سنتم ..

وكانت البعثة قد سافرت الى هملايا لوضع خارطة فوتوغرافية لثلاجات حوض كولو سبيتيلاهول في البنجاب ومحاولة تسلق الجبال التي ترتفع اكثر من ٦٠٠٠ متر .

● ما زال بركان انتا يزداد ثورة شيئا فشيئا وتشاهد الالوان الحمراء الملتهبة من على بعد ٣٠ كيلو مترا وهي تتوج فوهة البركان المذكور .

ويصحب الثورة انفجارات وقد مكنت الاستكشافات التي قام بها الخبراء من ملاحظة وجود كميات كبيرة من الحمم في فوهةالبركان كما كانت الانفجارات متتابعة وكانت تقذف بالحمم الملتهبة والصخور الى علو اربعة الاف قدم . وقد فر الفلاحون الذين يقيمونبالقرى المجاورة للبركان الى اماكن بعيدة ، وتقوم السلطات المختصة بمراقبة ثورة البركان ويبلغ عدد ضحايا هذا البركان منذ تجدد ثوراته التي تبلغ نحو ٥٠٠ ثورة نحو مليون نسمة . ويبلغ ارتفاعه ١٠٧٧ قدما عن سطح البحر .

● غرقت منطقة عرضها ٢٠٠ كم في وسط ارخبيل اليابان بظلام دامس مدة سبع دقائق وثلاث ثواني على أثر الكسوف الكلي للشمس في ٢٠ يونيو الماضي وهو يعد اطول كسوف منذ عام ١٢٣٨ . وكانت السماء صافية في بعض الاماكن التي شوهد فيها الكسوف وقد توقفت اذاعات الراديو نظرا لطول مدة الكسوف وهبت على الجو نسمات منعشة ناعمة . وقد قطع ظل القمر مسافة ١١ الف كم بمعدل ٣٦ كم في الدقيقة وقد اختفت الشمس وراء القمر اختفاء تاما .

لقد راقب الفلكيون في الماضي كسوفات الشمس لمعرفة اشياء جديدة عن الشمس ولكنهم اليوم يراقبون كسوف الشمس لمعرفة اشياء جديدة عن الارض ومثال ذلك انه ما دامت سرعة ظل القمر معروفة فقد تمكن علماء الفلك من معرفة الوقت الذي يصل فيه الى عدد عديد من نقاط المراقبة كما تمكنوا من حساب المسافة بين هذه النقاط وصوروا انحناء ضوء القمر وهو يمر على مقربة من الشمس لضبط نظرية النسبة لاينشتين وهو امر هام بالنسبة الى دراسة تركيب الذرة والعالم من ناحية عامة .

وقد قام معهد الابحاث الفيزيائية والالكترونية في كلكتا بدراسة ناجحة لطيفة الايونات (الجزئيات المشحونة بالكهرباء)وذلك خلال ساعتين ونصف الساعة ، ولم تحل الرؤية الضعيفة دون نجاح الدراسة التي تركزت في طبقة ما فوق الفيوم .

ولم يتمكن بعض العلماء الذين اجتمعوا في عدة اقطار في سيلان من مشاهدة الخسوف بوضوح بسبب حالة الطقس .

وقد اخفقت اخفاقا تاما جميع محاولاتهم وقد نكست الاعلام السويدية المرفوعة على مخيمات البعثة بسبب ذلك ، ولم يتمالك رئيس البعثة الالمانية نفسه هو واعضاء بعثته من البكاء . وكان قد وقع له حادث مماثل في اخر خسوف الشمس حيث تعذر عليه مشاهدته بسبب سوء الاحوال الجوية .

● ينتظر ان تؤدي الابحاث التي يقوم بها الدكتور ويليامبونيني الاستاذ المساعد للهندسة الجيولوجية في جامعة برنستون بامريكا الى اكتشاف جديد يتناول شكل الارض وقد قطع الدكتور بونيني مسافة مئتي الف ميل وزار ما يزيدعلى ٨٥ دولة منذسنة ١٩٥١ وذلك لقياس قوة جاذبية الارض في مناطق مختلفة منالعالم وسيستخدم ما جمعه من معلومات في تقرير ما اذا كان القانون الرياضي الذي يستعمله العلماء لتعيين شكل الارض صحيحا ام لا .



اربعة كتب من الاردن

- مارس يحرق معداته : لعيسى الناعوري
- بطولات عربية من فلسطين : لعيسى الناعوري وابراهيم القطان
- مرة في العمر : لمحمد سعيد الجنيدي
- في ظلال الحرية : للمرحوم الشيخ ابراهيم الدباغ

أعرف في هذه الكتب خيطا واحدا يربطها جميعها ويؤلف بينها ، لا انها صدرت من الاردن ، ولا انها وصلتني في شهر واحد ، ولكن انها كلها تنتسب الى الحرية ، وتؤرخ بصورها الجماعية والفردية حقا طبيعيا لقوم مظلومين مشردين ، وكل كتاب يصدر في الاردن اليوم يعد ثورة على اليأس ، ويقظة على طبيعة الواقع المؤلم الذي يعيش فيه الناس بعد نكبة فلسطين .

وتلك الثورة وذلك الواقع هما اللذان يتمثلان لك في اكثر ما يفيض عن قلم الاستاذ الناعوري الذي يعيش في مشكلة وطنه ، ويتصورها في اليقظة والمنام ، ويسخر لها طاقته الفنية في الشعر والمقالة والاقصوصة والقصة ، وانا معجب بالاستاذ الناعوري فيما يكتب لانه وجد الطريق الصحيح الى ما يحتاجه وطنه من ادب ، ووجد الطريق الصحيح الى ما يحتاجه منه من اخلاص ، وبين موضوعه المقدس واخلاصه الناري يكتب عيسى ، غير عابىء بان يعيش — كما يعيش الاخرون — في دنيا الخمائل الوارقة والاحلام السعيدة والتهاويل المجتلبة والصور المترفة . بل انه حين طرق سماوات الالهة في قصة «مارس يحرق معداته » لم يسمح لخياله ان يعيش في جنات عدن وانما كان يعود به دائما الى دنيا العمل ... الى الارض ... الى مزارع الزيتون والكروم والتفاح والبرتقال ، والى العلاقات الانسانية والحب الانساني ، وكان في تقديسه لمعاني الاخوة يسخر الالهة في خدمة البشر ويبني من مفهوم الارض — الارض كما يفهمها — سماوات واقعية لمثالية الانسان ، حتى اضطر مارس، عدو الانسانية الاول ، ان يحني راسه اجلالا لذلك الداب الذي لا يكل ، والطاقة التي لا تضعف ولا تمل . ان بيئة القصة ليست غريبة الا باسمها اما في مشاعرها واحاديث اشخاصها فهي قصة الارض الفلسطينية ، ونغمة الامنية العذبة التي تبشر بالحب والاخوة وتقديس العمل والتفاني في سبيل الارض .

وحاول عيسى وزميله الاستاذ ابراهيم القطان في كتاب « بطولات عربية من فلسطين » أن يرسما صورة سريعة لكفاح الشعب الفلسطيني خلال ثلاثين عاما في سبيل الحرية ، وهو كفاح شعب مظلوم مرتين — وامرّ هما ظلم «الاصدقاء» الذين وصموه بكل رواسب الخسة الكامنة في نفوسهم وتناسوا تاريخه الحي النابض بالبطولة . وقد كتب الكتاب للطلبة ، ولكن ما احراه ان يكون في ايدي الكبار قبل الصغار ! ما احرى ان يقراه الناس في كل بلد عربي ليجدوا فيه قولة الحق ، ولكن اترى هذا سينفعنا شيئا ؟ ان «ارشيفات» التاريخ مليئة بالغبار وانسجة العنكبوت .

وللاستاذ الجندي — وهو شاب مكثر من التاليف — نزعة واضحة الى تصوير الكفاح والتحرر في قصصه ، غير انه يبعد عن احداث وطنه وشئونه الواقعية وشخصياته ، ويتلمس موضوعاته في نواح بعيدة ، ولا عيب في هذا ، ولكن الاستاذ الجندي مفرق في التصوير مغال في التفلسف وارسال الحكمة حيث يقتضيه المقام وحيث لا يقتضيه ، وبعض قصصه صور شعرية فيها عذوبة الشعر ، وبعضها الاخر خطب حماسية . وما ادري هل استطيع ان اسمي كتابه «مرة في العمر» قصصا او لا ... على أنه ان كان لا يغضبه النقد ، فاني اصارحه بحاجته الى التروي والتجويد وكبح الشطحات الخيالية اذا اختار الاقصوصة مجالا للتعبير ، والا فانه قادر ان يسلك سبيل جبران في طريقته المزدحمة بالصور المعتمدة على الوثبات الخيالية اللامعة .

اما كتاب « في ظلال الحرية» فهو مجموعة من الرسائل والقصائد كان الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم الدباغ قد بعث بها الى ابن اخيه القاضي الاديب مصطفى درويش الدباغ ، فهو صورة لطاقة ادبية فذة تمثل روحا فلسطينيا حصيفة ناقدة كما ترمز الى معنى الوفاء الذي يضطلع به الاستاذ مصطفى نحو اديب من ادباء الطليعة ، كان نازع الروح الى الحرية ، واسع الثقافة غزير المادة بارعا في السخرية . واذا كانت القصائد في هذا المجموع لا تسمح بالتعرف الى حقيقة الشيخ ابراهيم الشاعر فان الرسائل تدل على تنوع في الثقافة وطرافة في العرض ، وهي وثائق قيمة في كثير من النواحي المتصلة بالحياة الادبية في مصر اثناء فترة محدودة من الزمن . وكنت افضل لو ان الاستاذ مصطفى قدم امام كل رسالة ذكر المناسبة التي أثارتها بدلا من تلخيص المواد التي اشتملت عليها ، وكنت افضل ايضا لو كانت الرسائل المجموعة اكثر فان العدد الذي طبع منها

يدل على خصب يطمع بالاستكثار منها . حقا ان الروح الدينية والوجهة التعليمية تسيطران على تلك الرسائل ولكن ذلك لم يذهب بما فيها من قدرة على الامتاع والنقد والحكمة الاصيلة . وفي نشرها على الناس فائدة محققة وارضاء للوفاء .

احسان عباس — **كلية الخرطوم الجامعية**

اعلام الادب في عصر بني أمية

لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ جزءان ـ ٣٨٤ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة

الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي من الافراد القلائل الذين كرسوا جهودهم للبحث والدرس ووقفوا حياتهم على نشر روائع الادب ، فنراه تارة مؤلفا واخرى محققا ، وطورا نافضا غبار الزمن عن مخطوطات ظلت حبيسة في زوايا الاهمال .

ولقد اصدر المؤلف سلسلة من الكتب عن الادب العربي منذ العصر الجاهلي الى آخر العصر العباسي ، من بينها كتاب « أعلام الادب في عصر بني امية » الذي نعرض له في هذه الكلمة .

تناول المؤلف في هذا الكتاب اعلام الادب في العصر الاموي من شعراء وخطباء ولغويين ، وقسم الشعراء قسمين : شعراء الغزل ، وشعراء السياسة .

وعد من القسم الاول ليلى الاخيلية ـ جميل بثينه ـ كثير عزة ـ عمر بن ابي ربيعة ، نصيب ـ ثوبة بن الحمير .

ومن القسم الثاني : عبدالله بن قيس الرقيات ـ اعشى همدان ـ عمران بن حطان ـ الاخطل ـ جرير ـ الفرزدق ـ الكميت .

ومن الخطباء والكتاب : زياد ـ سحبان ـ الحجاج ـ عبد الحميد ـ خالد بن صفوان ـ الاحنف بن قيس .

ومن علماء اللغة والادب : الخليل بن أحمد وأبا عمرو بن العلاء .

استهل المؤلف كتابه ، بالترجمة لليلى الاخيلية الشاعرة التي هام بها ثوبة بن الحمير ، فاستعرض حياة الدولة الاسلامية في القرن الاول الهجري وهي تكافح وتناضل لتوطيد دعائمها، وتثبيت اركانها وسط الخصومات السياسية المشتعلة بين الاحزاب والجماعات حول الخلافة والملك من ناحية وحول العقيدة والمبدأ من ناحية اخرى . واخذ يطوف بالقارىء في بادية نجد حيث فتحت الشاعرة عينها على الوجود وينتقل بين مرابع الصحراء متابعا نمو الشاعرة وهي طفلة ثم غادة بارعة الحسن ، ثم شاعرة ، ولا يفوته ان يتكلم عن بواعث شاعريتها ، ويقدم نماذج وافية من شعرها في الاغراض المختلفة ، يستخلص منها خصائص ذلك الشعر ، ويذكر مواقفها مع النابغة والخنساء ومعاوية والحجاج .

وعلى هذا النمط من شمول البحث ، وتبيان الجوانب، وعرض النماذج وتوضيح الصور ، ومناقشة الاراء ، يسلط المؤلف الاضواء على شخصياته واعلامه ، فيبرز خصائصها، ويوضح معالمها ، ويجدد سماءها ، ولقد وفق في تصويره الحياة الادبية في العصر الاموي تصويرا صادقا لا تنقصه الادلة ، ولا تعوزه الشواهد ، على أن جهد المؤلف لو وقف عند هذا الحد لكان جهدا مشكورا ، ولكنه وضح أثر دراسته ، فلم يترك كلمة صعبة دون ان يشرحها ولا علما يحتاج الى ضبط دون أن يضبطه ، ولا شعرا الا عزاه لقائله، ولا شخصية الا عرف بها ، وكثيرا ما يشرح الابيات الصعبة، والجمل الغامضة . وتبدو هذه المهمة شاقة لكثرة ما سجل المؤلف من نماذج شعرية ونثرية للذين ترجم لهم ، فاحيانا يورد القصيدة الطويلة بنصها دون ان يحذف منها شيئا . كرائية ابن ابي ربيعة التي مطلعها :

امن آل نعم انت غاد فمبكر — غداة غد أم رائح فمهجر ؟

وكثيرا ما يستعرض المؤلف آراء النقاد القدامى حول شعراء العصر اذ عقد فصلا في ص ٧٤ ج ١ عن آراء النقاد في عمر بن ابي ربيعة ، وفي ص ٢٢١ فصلا ثانيا عن آراء النقاد في الفرسان الثلاثة : جرير والفرزدق والاخطل ، وفي ص ١١٨ ج ٢ فصلا ثالثا عن آراء النقاد في عبد الحميد الكاتب .

وناخذ على المؤلف الفاضل الامور الاتية :

اولا : الاستطراد الذي يتجلى في الافاضة عن الشخصيات التي اتصلت بالشعراء ، وطرق موضوعات لا صلة لها بالهدف الرئيسي لموضوع الكتاب ففي ص٩٨ ج١ روى عن كثير انه احتال طويلا مع الوفود بين يدي عمر بن عبد العزيز حتى استطاع ان يدخل المسجد ويستمع الى الخطبة يوم الجمعة ويحفظها ويرويها كما سمعها . وفي ص ١٢٦ ج١ عقد فصلا عن العذريين وشهرتهم بالحب والجمال .

ثانيا : تكرار الابيات ، فقد اورد المؤلف الابيات الخمسة لكثير التي اولها :

الا ليتنا يا عز من عيز ربيعة — بعيران نرعى في الخلاء ونعزب

في ص ٧٧ وكررها في ص ١٠٥
وكذلك ذكر للعرجي البيتين الاتيين :

باتا بانعم ليلة حتى بدا — صبح يلوح كالاغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة — اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

في ص ٨٢ وكررهما في ص ٥٣

ثالثا ـ نقل طرف ادبية لا نرى داعيا لها ، ومن الامثلة ما اورده المؤلف في ص ٨٥ عن العرجي حين وعد هوى له ان تزوره في منتزه .

رابعا – ايراد ابيات برواية غير مشهورة دون التنبيه على الرواية الاخرى المشهورة كالبيت الآتي لجميل :

فلا انا مرجوع بما جئت طالبا ولا حبها فيما يبيد يبيد

والرواية المشهورة : مردود

خامسا – يفهم من تقسيم المؤلف الشعراء الى قسمين ان القسمين متباينان على حين اننا نجد بعض شعراء الغزل يتجه اتجاها سياسيا معينا . اي انه مع كونه شاعر حب فهو شاعر طائفة .

على ان هذه الامور التي عنت لي أثناء تصفحي الكتاب لا تنقص من قدر المؤلف ولا تقلل من مجهوده الذي بذله وهو يتوخى في اعماق مراجع اللغة والآداب الاصيلة ، كالاغاني والاماني والكامل ، يضم تناثر ، ويجمع مالوف من جوانب شخصياته واعلامه ، وينظم منها عقودا يبرزها في اطار جميل ، من بيانه القوي ، واسلوبه الرصين .

القاهرة **كامل السوافيري**

هذا الرجل من لبنـان : جبران خليل جبران

تاليف بربارة يونغ باللغة الانجليزية – ترجمة سعيد عفيف بابا – ٢٣٠ صفحة – مع عدة لوحات – اخراج فاخر – مطبعة صفدي التجارية بسان بولو بالبرازيل .

قـال الاستاذ سعيد بابا مترجم الكتاب في المقدمة :
... وهل صحيح ان جبران كـان يظهر بمظهر ويستر في قلبـه وصمتـه مـا يستر ... فيعلن في الجهر من اموره امرا ويرتكب في السر من شروره شرا ؟..

اسئلة كثيرة ظلت حائمة حائرة تنتظر .. فطال انتظارها وزاد الانتظار عذاب سائليها حتى طلعت علينا «بربارة يونغ» بكتابها عن جبران خليل جبران بعنوان «هذا الرجل مـن لبنـان» .

انها شاعرة امريكية عرفت جبران عن طريق شعـره فآلفته . سمعت «النبي» يتلى في احدى كنائس نيويورك فراعها ما سمعت . فكتبت الى جبران «معربة له عـن العمق والارتفاع والاتساع التي اضافها نبيه» الى وعيها... فرد عليها جبران داعيا اياها الى محترفه ليتحدثا « عن الشعر وترى الرسوم» فذهبت اليه فاذا بجبران يرحب بها مبتسمـا كانما هما صديقان قديمان .

وقويت اواصر الصداقة بينهما حتى اذا ما سبرت غور روحه وعرفت سر عظمته ووقفت على مدى وعيـه وعمق ادراكه احبته حب المريمات ليسوع ...

وصارت بربارة احدى تلميذاته المؤمنات برسالته المبشرات بتعاليمه الناشرات حكمه واقواله ... تسافر على نفقتها من مدينة الى مدينة تنقل «الكلمة» فتقرا من «النبي» او من «السابق» او من «التائه» او من «المجنون» او من «رمل وزبد» أو من « يسوع ابن الانسان» وتحدث الناس عن الشاعر وتفسر لهم رسالته .

لقد فهمت بربارة عظمة جبران الحقة فرغبت في ان تعرف منه وعنه اكثر ما تستطيع لتكتب للناس عنه شيئـا فابدت رغبتها فراقه ذلك منها فصار يحدثها عن نفسه وهي تسمع وتعي وتكتب ... وظلت تسمع وتعي وتكتب سبع سنوات من سنة ١٩٢٣ «حتى اللحظة التي مات فيها» .

ولقد شهدت بربارة بحكم اتصالها الطويل الملازم المستمر بجبران ما لم يشهده بشري اخر منه . فلقد رافقت مولد الكثير من كتبه الانجليزية وشاهدت خلق الكثير من رسومه وسمعت ونقلت الرائع العذب من اقواله واشعـاره واطلعت على الكثير من دخائله ورغائبه واسراره .

وكثيرا ما حدث ان ظلت في محترفه الى مطلع الفجر ترى وتسمع وتكتب فتنتشي... حتى اذا ما ارتمى جبران فوق سريره متعبا مجهدا القت عليه الغطاء وانسلت مـن محترفه مغلقة الباب بهدوء وراحت الى فندقها لتستريح !

فلمـا جاء يوم العاشر من ابريل سنة ١٩٣١ والـم بجبران ما الم واحس وهو في مستشفى القديس فنسنت في نيويورك بالموت مقتربا منه طلب اليها ان تبقى معه لتخفف مرارة الكاس التي كان مزمعا ان يحتسي . قـال لها «لا تتركيني ...» فلم تتركه ... حتى اذا انقطع الامل في شفائه وفقد وعيه استدعيت اخته مريانا واستـدعي اصدقاؤه ، فجاءت مريانا وجاء من اصدقائه من جاء ...

... لقد مات جبران تاركا مـاله وكتبه ورسومه ووصيته فاذا به يعين بربارة هـذه القيمـة الادبية علـى مؤلفاته فميزها بذلك عن الكثيرين ممن رافقوه وآلفـه فاحبهم واحبوه .

وقد ذهبت بربارة سنة ١٩٣٩ الى لبنان لتجمع مـا تبقى من خيوط حياة صديقها الحبيب لتضعها في سطور «فتحييه للناس كما هو حي لديها» فزارت بيروت وبشري ومدرسة الحكمة ودمشق واتصلت بكثيرين من اصدقـاء جبران ورفاق حداثته وصباه ومعارفه ومحبيه .

وكانت تنوي الحياة فـي لبنان متنقلـة بين بيروت والجبل فتتعلم العربية لغة جبران الحبيبة لتنقل كنـوز جبران منها الى الانجليزية . غير ان اعلان الحرب العـالمية الثانية حال دون ما نوت اذ طلب اليها رسميا ان تعود ... فعادت ! ثم كتبت كتابها هذا ...

... ما اعظم الفرق بين هذا الكتاب وما كتب عن جبران من قبل !! ...

فهذا كتاب خطته يد امراة شاعرة عن رجل شاعر

وهي امراة عرفت جبران لانها رافقتـه وفهمتـه فاحبته

بل هي امراة قدر لها ان تلازم جبران سبع سنـوات

كاملة عندما كانت مواهبه في اوج نضوجها ووعيه في اكمل رؤاه وادراكه في اعلى ذراه .

وهي امرأة تكتب عن رجل .

وشتان بين فهم الرجل للرجل وفهم المرأة له ! بل شتان بين معرفته ومعرفتها او بين حبه وحبها !

شعراء الوطنية

تراجمهم ، وشعرهم الوطني ، والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم

لعبد الرحمن الرافعي – ٣١٦ صفحة – حجم كبير
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

قال المؤلف العلامة في مقدمة الكتاب :

عندما ارخت الحركة القومية في ادوارها المتعاقبة ، تبينت مبلغ ما للشعر الوطني من اثر عميق في التمهيد لها وبعثها ، واذكاء الروح الوطنية في نفوس المواطنين ، وتسجيل الحوادث الهامة في تاريخ مصر القومي ، ومن يومئذ وانا تواق الى ان اخصص لشعراء الوطنية سفرا منفردا ، يجمع معظم ما جادت به قرائحهم من الشعر الوطني، مع التعريف بشخصياتهم ، وذكر المناسبات التي انشأوا فيها قصائدهم الوطنية .

... واني لاشعر اني باخراج هذا الكتاب ، اؤدي واجبا نحو اولئك الشعراء ، ونحو الحركة الوطنية ذاتها ، فالشعراء الذين استلهموا وحي الوطنية في قصائدهم ، واهتزت لها مشاعرهم ، واستجابوا الى نداء الوطن في عالم الشعر والفن والخيال ، وتجاوبوا مع الحركة الوطنية ، وكانوا مرآة صادقة لعصرهم ، ومصدر الهام وتوجيه لمواطنيهم ، وترجمانا لهم في آمالهم وآلامهم ، واحاسيسهم واهدافهم ، هؤلاء خليقون جميعا بتقدير الوطن وثنائه ، وان من ابسط علامات التقدير لهم ان تجمع قصائدهم في سجل واحد .

على اني لا اقصد تقديرا لهم فحسب ، بل اقصد الى تغذية الروح الوطنية بمدد من شعرهم والهامهم ، واذا كان مما تعمد اليه الامم ان تغذي نفوس ابنائها بالاناشيد الوطنية، فأجدر بنا ان نشيع الشعر الوطني ونجعله في متناول المواطنين جميعا ، فكلنا في حاجة الى ان نستذكر تلك القصائد الغر التي تملأ النفوس وطنية وايمانا وتغرس فيها فضائل الصدق والاخلاص والشجاعة ، والتفاني في اداء الواجب الوطني فلعلها تدفعنا الى السير دائما الى الامام . غير متوانين ولا متنابذين ...

... ان حياة هؤلاء الشعراء وقصائدهم الوطنية – الى جانب انها عماد للادب وتاريخه – هي قطعة من تاريخ الحركة الوطنية ، وعنصر من عناصر بعثها وتطورها ..

وسائل تيسير تبادل المواد السمعية البصرية

Circulation of Visual and auditory materials

منشورات اليونسكو – ٢٦ صفحة – باللغة الانجليزية

اصدرت اليونسكو كتيبا عن مزايا ووسائل تطبيق « الاتفاقية الخاصة بتيسير تبادل المواد السمعية والبصرية ذات الطابع التربوي والثقافي والعلمي في نطاق دولي » . وقد وضعت هذه الاتفاقية برعاية اليونسكو ، ودخلت حيز التنفيذ في ١٢ اغسطس ١٩٥٤ ، ومنذ ذلك التاريخ تطبق في دول كمبوديا وكندا والباكستان واليونان وهايتي والعراق والنروج والفيليبين وسلفادور وسوريا ويوغوسلافيا . وقد وقعت على الاتفاقية دون الاشتراك في تنفيذها بعد الدول الآتية : افغانستان والبرازيل والدانيمارك والولايات المتحدة واكوادور وايران ولبنان وهولنده وجمهورية الدومينيكان واورجواي .

ويقدم لنا كتيب اليونسكو صورة مبسطة عملية لوظيفة هذه الاتفاقية ، مما ينير الاشخاص والهيئات طريق الاستفادة منها . ويتضمن الكتيب النص الكامل للاتفاقية.

ويستعرض الكتيب مجموعات المواد التي تنطبق عليها هذه الاتفاقية (الافلام والافلام الثابتة والميكروفيلم والتسجيلات الصوتية والخرائط والاعلانات ذات الطابع التربوي والتعليمي والثقافي ... وغيرها) ، كما يبين لقارئه مزايا الاتفاقية فيما يختص بالحصول على الشهادات اللازمة لتصدير المواد السمعية والبصرية ، وطرق تنفيذ الاتفاقية والجهات التي يمكن ان تقدم له معلومات ضافية في هذا الشأن .

قوائم بالادوات اللازمة لتدريس العلوم

Inventaires du Matériel d'Enseignement Scientifique

منشورات اليونسكو – ١٥٤ صفحة – باللغة الفرنسية

اصدرت اليونسكو مجموعة من القوائم ادرجت بها الادوات والاجهزة اللازمة لتدريس العلوم ، رغبة منها في مساعدة المدارس والجامعات في المناطق المتخلفة على استيعاب الاجهزة الضرورية لمعاملها العلمية .

وتقع هذه المجموعة في اجزاء ثلاثة : يضم الجزءالاول بيانات خاصة بمعاهد التعليم الابتدائي والثانوي والفني ، ويتضمن الجزء الثاني بيانات بالاجهزة اللازمة للجامعات ، ويختص الجزء الثالث بلوازم المعاهد الفنية العليا . وقد نشر هذا الجزء في اربع ملازم منفصلة تيسيرا لاستخدامها، فتناولت الملازم الثلاث الاولى العلوم الهندسية والطبيعية والكيميائية والزراعية ، وتناولت الملزمة الرابعة – وهي التي نشرت اخيرا – علوم الهندسة الكهربائية .

ويطالع القارىء في هذه الملزمة الاخيرة بيانات عن نظم تعليم الكهرباء في مدرسة الكهرباء العليا بفرنسا وكليتي الهندسة في السويد وبريطانيا . وقد وضحت اسماء الاجهزة العلمية مع بيان اسعارها بالدولار .

علم الاجتماع الشائع

CURRENT SOCIOLOGY

منشورات اليونسكو ـ ٢٧٥ صفحة ـ باللغتين الانجليزية والفرنسية

تصدر اليونسكو نشرة دورية بعنوان (علم الاجتماع الشائع) وتضمنها بيانات عن مراجع علم الاجتماع وبحوث العلماء الاجتماعيين . وقد صدر العدد الاخير يضم اكثر من ٣٥٠٠ عنوان للمراجع والبحوث الاجتماعية خلال عام ١٩٥٢ . وتتناول المراجع علوم الاجتماع والطب الاجتماعي والانتروبولوجيا الاجتماعية .

وقد أعد مواد هذا العدد الجمعية الدولية لعلم الاجتماع بمعاونة اللجنة الدولية لوثائق العلوم الاجتماعية ، وهما منظمتان انشئتا بعون من اليونسكو .

وقد قسمت المراجع الى عشرة فصول رئيسية ، تتناول تاريخ علم الاجتماع ونظرياته ، والبناء الاجتماعي ، والتحكم الاجتماعي ، وعلم اجتماع الشعوب البدائية ، والنواحي التطبيقية للمعرفة الاجتماعية . كما يضم العدد فهارس بالمؤلفين والموضوعات .

وتعتبر نشرة (علم الاجتماع الشائع) جزءا هاما في برنامج اليونسكو الخاص بتحسين الوثائق الدولية في العلوم الاجتماعية ، ومن ثم كان لها أهميتها الخاصة للباحثين الاجتماعيين .

سجل الوثائق القانونية في العالم

A Register of Legal Documentation in the World

منشورات اليونسكو ـ ٣٦٢ صفحة ـ باللغتين الانجليزية والفرنسية

أصدرت منظمة اليونسكو بالتعاون مع اللجنة الدولية للقانون المقارن واللجنة الدولية لوثائق العلوم الاجتماعية « سجلا للوثائق القانونية في العالم » ، ليجد فيه طلبة القانون المقارن مرشدا لهم في دراستهم .

ويقع هذا السجل في ٣٦٢ صفحة تضم جميع البيانات الخاصة بالتشريعات والتقارير القانونية في كل بلد على حدة ، مع الاشارة الى مراكز الوثائق بها والدوريات القانونية التي تصدر فيها .

وقد أعدت هذا السجل هيئة خاصة الفتها اللجنة الدولية للقانون المقارن وجمعت بين اعضائها فئة من كبار أساتذة القانون ورجال القضاء في العالم .

قائمة للمراجع الدولية الخاصة بدراسة مشاكل الصحافة

Reports and Papers on Mass Communication

منشورات اليونسكو ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ باللغة الانجليزية

أصبحت مشاكل الصحافة منذ عهد ليس ببعيد موضوع دراسات تزداد وتتعقد يوما بعد يوم ، بل وبدأت البحوث في هذا المجال تحدد لها مناهج واضحة .

ورأت اليونسكو لتشجيع هذه البحوث والعمل على تبادلها بين الباحثين والخبراء ان تسد نقصا كبيرا في هذا الميدان ، ونعني به عدم وجود مراجع دولية للمؤلفات الخاصة بمشاكل الصحافة . ولذا أصدرت اليونسكو اول قائمة لهذه المراجع ، مدرجة فيها المؤلفات التي ظهرت بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٢ . وقد ظهر هذا الكتيب تحت رقم ١٣ في مجموعة اليونسكو المعروفة بعنوان (كراسات مركز الوثائق) التي تصدرها ادارة افادة الجماهير باليونسكو .

وقد أعدت هذه القائمة على الاسس الآتية :

ـ نشر قوائم المؤلفات التي ظهرت بين ١٩٠٠ ـ ١٩٤٥ ويعتبرها الخبراء جوهرية لعملهم .

ـ نشر قائمة كاملة بقدر الامكان لجميع المؤلفات الخاصة بشئون الصحافة ، والتي ظهرت بين ١٩٥٤ ـ ١٩٥٢ .

اقسام المراجع في المكتبات الاهلية نشأتها وعملها

National Bibliographical Services : Their creation and operation.

منشورات اليونسكو ـ ١٤٣ صفحة ـ باللغة الانجليزية

أصدرت اليونسكو بالعنوان المتقدم كتيبا يقع في ١٤٢ صفحة درست فيه وسائل تنسيق اقسام المراجع في المكتبات ، لتساعد بذلك المكتبات الاهلية ، وعلى الاخص تلك التي تفتقر الى خبرة بتنظيم اقسام المراجع بها .

وقد وضع هذا الكتاب الاستاذ (كنود لارش) امين مكتبة كوبنهاجن ، الذي تخصص طويلا في المراجع العلمية من الناحية الاهلية والدولية ، وهذا الى عمله في مكتبة تقدمت فيها نظم المراجع الى حد لا مثيل له .

ويتضمن الكتاب ١٣ فصلا تتناول مسائل المراجع عندما ينشأ لها قسم في المكتبات الاهلية ، ومن هذه المسائل وظائف هذا القسم وتزويده بالمواد اللازمة ووسائل تقدمه وادارته .



● المصطلحات العلمية في اللغة العربية « في القديم والحديث » ـ محاضرات القاها الامير مصطفى الشهابي على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ١٤٠ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

● المباحث اللغوية في العراق ـ محاضرات القاها الدكتور مصطفى جواد على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٤ ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها ـ القاها الدكتور انيس فريحة على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● احمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والادبية ـ محاضرات القاها الدكتور محمد احمد خلف الله على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات عن مي زيادة مع رائدات النهضة النسائية الحديثة ـ القاها الدكتور منصور فهمي على طلبة قسم الدراسات الادبية ١٩٥٤ ـ ٢٢٠ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي ـ القاها الدكتور مندور على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● الصحافة في العراق ـ محاضرات القاها الاستاذ روفائيل بطي على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● الصحافة والادب في مصر ـ محاضرات القاها الدكتور عبد اللطيف حمزة على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ـ ١٦٧ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في النقد الادبي ـ القتها الدكتورة سهير القلماوي على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ٨٦ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في الادب ومذاهبه ـ القاها الدكتور محمد مندور على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ١٩٥٥ ـ ١١٦ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● القانون المدني اللبناني النظام العقاري في لبنان ـ محاضرات القاها الاستاذ اميل تيان على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٤ ـ ٩٨ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في القانون المدني العراقي ، مقومات الملكية والحقوق العينية والائتمان العقاري ـ القاها الدكتور حسن الذنون على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٤ ـ ٩٤ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في الميراث عند الجعفرية ـ القاها الاستاذ محمد ابو زهرة على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٥ ـ ١٤٣ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الاولى ـ القاها الاستاذ علال الفاسي على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية ١٩٥٥ ـ ١٩٨ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه ـ محاضرات القاها الاستاذ عبد الوهاب خلاف على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٤ ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي (٢) عصر نشاة المذاهب ـ القاها الدكتور محمد يوسف موسى على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٥ ـ ١٧٩ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● اساطين الموسيقى العالمية الرومانتيكية والكلاسيكية والحديثة ـ تاليف صميم الشريف ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار اليقظة العربية بدمشق .

● مع الدكتور الوردي في كتابه وعاظ السلاطين « القسم الاول » ـ تاليف مرتضى العسكري ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات مكتبة الامام الكاظم العامة ـ مطبعة المعارف بغداد .

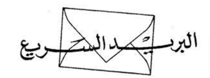
● البدو والعشائر في البلاد العربية ـ محاضرات القاها الدكتور عبد الجليل الطاهر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ١٩٥٤ ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● محاضرات في الاقتصاد اللبناني ـ القاها الدكتور البرت بدر على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ١٩٥٤ ـ ٨٤ صفحة ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

● احمد زكي ابو شادي ـ تاليف الامirالاي اركان حرب محمدعبدالفتاح ابراهيم ـ ٦٠ صفحة ـ مطبعة ومكتبة الشعب بالقاهرة .

● ذكريات السودان ـ تاليف الدكتور يوسف نحاس ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة المصرية بالقاهرة .

● Méditations Poétiques — par Félix Léon — 96 pages — Imprimerie Française — Le Caire.



● الى قراء الاديب وكتابها واصدقائها

تعرضت الاديب لعملية تجسس وتخريب واسعة النطاق ابتداء من اول العام الحالي . وانقسم هذا العمل التخريبي الى قسمين :
محاولة ائتلاف اعداد المشتركين والمبادلات والاهداء ، وتناولت هذه المحاولة عددي مايو ويونيو ، غير اننا تمكنا من اعادة تأمين ارسال الاعداد ، فوصلت اعداد مايو ويونيو الى اصحابها في بريد واحد .
وتناولت عملية التجسس والتخريب ، ابتداء من اول العام الحالي الاستيلاء على اكثر الرسائل الواردة الينا ، ومنها مقالات الكتاب ورسائل المشتركين والاصدقاء وغيرها التي ارسلت بالبريد العادي اي التي لم ترسل الينا بالبريد المؤمن عليه . كما تناولت ايضا الاستيلاء على الرسائل الصادرة منا على اختلافها .
لذلك نرجو المعذرة الى جميع الذين كتبوا الينا ولم يتلقوا الرد الذي ارسلناه . وسنحاول سريعا اعادة كتابة هذه الردود وارسالها .
غير اننا نرجو ايضا من الذين كتبوا الينا ان يتكرموا بتنبيهنا الى ذلك ولهم الشكر .

● من الاستاذ زهير ناجي ، مدرس تاريخ ـ دمشق

قد قرأت في افتتاحية العدد خبر « الازمة » التي تعرضت اليها مجلتكم واني مع الكثيرين من اصدقاء الاديب نأسف لما اصاب الاديب واننا لعلى ثقة تامة بان الخسارة المادية لن تؤثر على سير مجلتكم ولا على اتجاهها التقدمي الذي يستوحي الانسانية والقومية الواعية .

● من الشاعر الاستاذ بلند الحيدري ـ بغداد

قرأت افتتاحية العدد الماضي ، تأسفت كثيرا لهذا الرهط من البشر الذي رضي لنفسه هذا الانحطاط وهذه الدناءة ، وعلى كل فتلك اساليب لن تحطم غير اصحابها وتزيدنا اخلاصا لاديبنا .

● من الشاعر الاستاذ عبد الوهاب البياتي ـ بغداد

قرأت الصيحة الابية الظافرة التي اطلقتها الاديب في افتتاحية العدد الماضي في وجوه اللصوص والجواسيس الذين كادوا وتآمروا بخسة ودناءة وحقارة عليها . ان الاديب ستبقى ما دامت بيضاء ناصعة الجبين رغم كيد اللصوص والسماسرة .
لقد كان لندائها الابي ، الحر ، المؤدب ، أثر بليغ في نفوس القراء ، حتى قال بعضهم :
ان الاديب ـ حتى وهي في موقف فضح المخربين والسماسرة الذين تآمروا عليها لم تخرج عن حدود الخلق القويم ، فضربت بذلك مثلا رائعا في الاستقامة والامانة الفكرية وعلمت الجواسيس كيف يكون الشرف .

● من الاستاذ رضوان ابراهيم ـ القاهرة

لقد آلمنا ان تتعرض الاديب للمحنة بعد المحنة تحاول ان تعوق كفاحها في سبيل الادب والعروبة ، ولكن مشيئة الله اقوى وما دام جهادكم خالصا من شوائب النفاق والملق ، فان هذه الامواج المزبدة ستتحطم واحدة بعد الاخرى على صخرة ايمانكم والله يوفقكم ويرعاكم .

● من الانسة ثريا صلاح الدين ـ القاهرة

تحياتي لعيسى الناعوري على قصته « خللي السيف يقول » والى السيدة جليلة رضا التي احيت في قصيدتها « الى صديقة » ذكريات الطفولة العميقة في ريفنا الحبيب .

● الى الاستاذ ناجي مجيد التكريتي ـ تكريت العراق

وصل المقال ولكنه لن ينشر فالموضوع كتب فيه كثيرا . اما العناوين المطلوبة فاننا نجهلها ، ثم ان الانسة مليحة اسحق ببغداد فيمكن السؤال عن عنوانها عندكم .

● من الاستاذ انسي لويس الحاج ـ بيروت

وقعت جملة اخطاء طباعية في بحثنا السابق عن بيتهوفن نرجو التنويه باهمها :
الصفحة ٢٦ العمود الثاني الصواب : « سوى سطر او اكثر بقليل » الصفحة ٢٩ العمود الاول ، يلي « وفي يدها مشعل » نقطة . الصفحة ٢٩ العمود الاول قبل السطر الاخير الصواب « تحشرج » . الصفحة ٣٠ العمود الثاني سقطت سهوا جملة وردت في الصفحة ٢٩ وهي « ليطعم ذاته او مواليد ذاته ممن عجزوا عن احراق ذواتهم » الصفحة ٣١ العمود الثاني الصواب « قوة صراح حرة » و « التوفيق بين لحنين » .

● من المحامي الاستاذ احمد رشاد حسن ـ القاهرة

اعجبني كثيرا عدد الاديب الماضي وما حواه من ابحاث وقصائد وقصص واخص بالذكر الاستاذ بدر نشأت « العمل » فهي قصة رائعة .
واحب ان اسألكم لماذا لا تحلون مجلتكم ببعض الرسومات ان هذا يساعد على رواجها اكثر . واليس من الاجدى على قراء مجلتكم ان تستغلوا الصفحات الكثيرة التي تنشرون فيها انباء الطب والامراض في نشر الادب والشعر والنقد .

● من الاستاذ علي حلواني ـ جدة ، العربية السعودية

كتب حول « حرف الظاء » و « حرف الضاد » يرد على الاستاذ سليمان موسى مؤيدا راي الاستاذ يوسف عجاج . نكتفي بالاشارة الى ذلك لوفرة ما نشر في هذا الموضوع .

● الى السيد محمد ابراهيم ايوب ـ جامعة عين شمس القاهرة

ان قصيدتك « اللحن الضائع » بادرة خير تحتاج الى صقل وتنمية ، وهي تفصح عن مشاعر دقيقة تعبر عن النقمة على الفاسد والحب للخير العام . الا ان بعض الركاكة الظاهرة في بعض ابياتها ، والخروج عن الروي في البعض الاخر حال دون نشرها . ونأمل ان تتغلب على ذلك بالاكثار من قراءة الشعر العربي البليغ والوقوف على طرق التعبير الصحيحة ، مع الاحتفاظ بصلتك بالحياة والواقع وتقديرك للتطور الذي اصاب الشعر العربي . وليس اجدى على الشاعر بعد التزود بهذه الامور من المران على قول الشعر واعادة صقله وتهذيبه . ونتمنى ان نجد في قصائدك القادمة تقدما مطردا .



بيان مخيف من العلماء

●

اصدر في التاسع من شهر يوليو الماضي تسعة من العلماء الطبيعيين الذين ينتمون الى بريطانيا واميركا واليابان وبولونيا وفرنسا بيانا يدعو الدول الكبرى التي تمتلك القنابل النووية من ذرية وهيدروجينية الى تحريم الحروب . ويقول البيان انه ما لم تحرم الحروب فان العالم مهدد بالفناء في حرب ذرية قد تقضي على جميع البشر .

ويذكر العلماء التسعة ، وهم جميعا من حملة جائزة نوبل في العلوم ، ان قنبلة هيدروجينية واحدة تساوي قوة تدميرها ٢٥٠٠ مقدار تدمير القنبلة الذرية الاولى وتكفي قنبلة هيدروجينية واحدة لتدمير مدينة كبرى كنيويورك او لندن او باريس او موسكو .

وقال البيان : ولا تكتفي القنبلة الهيدروجينية بان تدمر مدينة باسرها او تقضي على جماعات من الناس بل انها ترسل الى طبقات الجو العليا غيوما من الرماد المشبع بالاشعاعات الذرية ، فتعود الى الارض بشكل غبار مميت او مطر لا يبقي ولا يذر .

وقال العلماء التسعة في بيانهم ان قيام حرب ذرية بين الدول قد لا يقضي بالفناء على جميع سكان العالم ولكنه يحدث تعذيبا طويل الامد وامراضا مريعة وانحلالا لبقية سكان العالم .

ويرحب العلماء في بيانهم المخيف بتحريم الاسلحة الذرية والهيدروجينية كخطوة اولى ، ولكنهم يقولون ان تحريمها لن يراعى اذا ما قامت حرب ، ولذلك فان الحل الوحيد هو تحريم الحروب بتاتا .

وقال العلماء التسعة انهم يصدرون بيانهم هذا لا بصفتهم مواطني امة من الامم بل بصفتهم اعضاء في الجنس البشري ، ويناشدون رؤساء الدول الكبرى التي تمتلك هذه الاسلحة الخطيرة ان يسموا بانفسهم فوق المنازعات الاقليمية لكي ينظروا الى ضرورة بقاء النوع البشري وصيانة العالم من الدمار .

ويعلن العلماء في ختام بيانهم : هذه هي مشكلتنا نعرضها على العالم وهي مشكلة كل فرد على وجه الارض . ولما كان استعمال الاسلحة الذرية امرا لا بد منه في حال نشوب الحروب ، وان استعمال هذه الاسلحة في الحروب يهدد بفناء البشرية ، نطلب الى جميع حكومات العالم ان تعمل على فض نزاعاتها باللجوء الى وسائل سلمية .

اما العلماء التسعة الذين اصدروا هذا البيان الخطير فهم :

العلامة اينشتاين الذي كان قد وقعه قبل وفاته في شهر يناير الماضي ، والعالم البريطاني برتراند رسل البالغ من العمر ٨٣ عاما ، والعالم الاميركي بيرسي بريدغمان من جامعة هارفارد ، والعالم الاميركي هيرمان ميليرغن من جامعة انديانا ، والعالم سيسل بويل من بريطانيا ، والعالم الياباني يوكاوا من اليابان ، والعالم الفرنسي فريدريك جوليو كوري ، والعالم البريطاني جوزف روتبلات ، والبروفسور ليوبولد انفيلد من فرصوفيا في بولونيا ، وجميعهم من حملة جائزة نوبل .

وقد صرح برتراند رسل في تعليق على البيان بان هذا البيان ارسل الى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي وكندا وفرنسا والصين الشعبية .

وقال انه لا يعتقد بان خطر الحروب يزول بتحريم الاسلحة الذرية والهيدروجينية كما تشير الدعاية الشرقية على ذلك ، بل بتحريم الحروب جميعا تحريما باتا .

فولتير وشكسبير في مصر

●

التاريخ لا يعيد نفسه . ولو فعل لدار حول نفسه فلا يكون هناك ارتقاء الى اعلى او تقدم الى الامام وانما تكون هناك حركة دائرية تنتهي الى حيث ابتدات وانما التاريخ يعيد المشكلات التي تشبه المشكلات القديمة ويقدم لها الحلول التي قد تشبه او لا تشبه الحلول القديمة ولكنها لا تطابقها اذ هي تجري على مستوى اعلى . اي ان التاريخ يدور ولكن في حركة لولبية كلما انتهى من دورة صعد درجة الى اعلى وقام بدورة اخرى .

ونحن في هذه الايام نعاني مشكلة بل مشكلات فلسفية كتلك التي عانتها اوربا في نهضتها الاولى في ايطاليا ونهضتها الثانية في فرنسا .

وقد ظهر بيننا ، نحن المصريين ناهضون مثل قاسم امين الذي دعا الى تحرير المراة . ومثل محمد عبده الذي قال انه يعتقد ان كلمة «زندقة» ليست عربية وانها في الاغلب محرفة عن « هرطقة » اللاتينية . وانه ليس في الاسلام زندقة .

كلاهما عمل لتحريرنا . الاول حرر المراة من الحجاب . والثاني حرر افكارنا من القيود . ونحن في حاجة الى ان نذكرهما هذه الايام .

ماذا كان يقول محمد عبده في ظروفنا الحاضرة ؟

ماذا كان يقول قاسم امين في هذا الخبر الذي ذكرته الصحف امس وهو ان حكومة لبنان قد قررت تعيين ثلاث سيدات في المجلس البلدي وتعيين سيدتين للقضاء ؟

أين انت يا مصر مما ستفعله لبنان ولماذا هذا الاصرار على ان تبقي انت وحدك في القرون الوسطى تحتقرين المراة وتحتقرين حرية الراي ؟

ولكن فوق محمد عبده . وفوق قاسم امين ، احس كان ذكرى فولتير تصدم رأسي كما لو كانت حجرا يشجه .

ايكرايزيه لانفام .. اسحقوا الخزي : صيحة مدوية صاح بها فولتير قبل اكثر من مائتي سنة .

اي خزي هذا ؟

هو خزي الاضطهاد لمن يخالفوننا في الراي .

اننا في ازمة فلسفية من حيث اسلوب الحياة ، ومن حيث نظام المجتمع الذي يجب ان نعيش فيه . ونحن ايضا في تنازع بقاء مع امم كبيرة وصغيرة .

هل نحيا احرارا نفكر كما نشاء وكما يهدينا اليه تفكيرنا ام نتقيد بقيود الماضي . والى متى تبقى هذه القيود ؟ الف سنة قادمة ام مليون سنة قادمة !

ثم هل نحيا في مجتمع انفصالي ، مجتمع الرجال وحدهم ، أم في مجتمع مختلط يختلط فيه الجنسان وتعمل فيه المراة اعمال الرجال جميعها كما توشك لبنان ان تفعل ؟

وهذه الازمة الفلسفية التي نعانيها، اي فلسفة العيش ، قد وجدت في الاسابيع الماضية من التفكير والتعبير في موضوع الادب والعلم ما حملنا على المناقشة التي تشبه الملاكمة . والذي حملني على كتابة ما تقدم وعلى الكلمات التالية هو فولتير .

ذلك ان هذا الاديب العظيم الذي علم اوربا وعمم حرية التفكير سئل ذات مرة : من هو اعظم رجل في العالم ؟ فاجاب : هو اسحق نيوتن .

ولم يكن اسحق نيوتن من رجال الادب وانما كان من رجال العلم .

ولكن فولتير كان من رجال الادب الذين استطاعوا ان يعرفوا ان رجل العلم ايام النهضة خير من رجل الادب وانفع منه .

وبكلمة اخرى : لو ان فولتير كان قد سئل ايهما انفع لابناء فرنسا كي يدرسوه وينقلوا مؤلفاته الى لغتهم .. شكسبير مؤلف روميو وجولييت أم اسحق نيوتن صاحب مبدأ الجاذبية ؟ لقال فورا انه اسحق نيوتن .

وقد درس فولتير شكسبير وكان يتقن اللغة الانجليزية التي تعلمها في انجلترا . ولكنه كان ، يفهم ان الحضارة هي علم وصناعة . ولذلك أثر اسحق نيوتن عليه لانه فهم من العلم انه ارتقاء وحضارة .

وهذا هو ما جعلني في اول المناقشة الخاصة بالمفاضلة بين العلم والادب على ان اقول بافضلية العلم لاننا في نهضتنا الحاضرة نحتاج اليه لانه وسيلة التمدن ، ولا تمدن ولا قوة بلا علم . واننا نستطيع ان نؤجل « الترف الذهني » او الادب كما يفهمه بعضنا ، في مسرحيات روميو وجولييت ، وماكبث ، والملك لير ، بلا ضرر . وعندنا ما يكفينا من الترف الذهني ، الحسن والفاسد ، في أبي تمام وابن الرومي والمتنبي وابي نواس. واذا كان لا بد من الادب فليكن ادب الكفاح والرسالة وليس هذا ادب شكسبير .

ان القراء العرب يحتاجون الى موسوعة مثل الموسوعة التي كان يشرف على تحريرها ديدرو وكان يشترك فيها فولتير والتي هيأت الشعب للثورة الفرنسية الكبرى .

وهذه الموسوعة هي ٩٩ في المائة علوم وصناعات .

والقراء العرب يحتاجون الى لتنوير الفربي لعقولهم الشرقية . فاذا قراوا كتاب الامهات لريفولد وكذلك كتاب العلم في التاريخ لبرنال ، لتغيرت الدنيا امامهم .

ان مسرحيات شكسبير لا تمنع تقييد الاراء الحرة . ولكن كتب العلم من داروين ، وداروين جد خطير هنا ، الى برنال الى فريزر الى بريفولد ،كل هذه الكتب او بعضها كان يكفي القارىء لان يتعود منها الاراء الحرة ويأنس اليها ، بل كذلك كتب الادب، ادب الكفاح والرسالة ، كان يمكن ان تحرر اذهاننا .

ما هي نهضتنا ؟

ما هي القيم التي ننشدها ؟

ما هي الرؤيا التي نحب ان نراها لبلادنا بعد عشر سنوات او مائة سنة ؟

هل هي رؤيا الحجاب للمراة التي

تحرم حق الانسان في المجتمع فلا تكون نائبة في البرلمان او وزيرة او سفيرة او قاضية ؟

هل هي رؤيا ادب ابي نواس وروميو وجولييت ؟

هل هي رؤيا القيود والحدودللفكر البشري ؟ هذا يجاز فيه التفكير وهذا لا يجاز فيه ؟

★ ★ ★

إن الذهن العربي في حاجة الىان يتغير . اي الى ان يتطور .

ان قلب افريقيا الاسود يتغير في عصرنا . حتى ان الناهضين في مستعمرات بلجيكا وفرنسا وبريطانيا يسمون انفسهم « متطورين » . وهم يفهمون من هذا الوصف انهم قد تغيروا وانهم دائبون في التغير والبعد عن الجمود .

ولو اننا كنا متطورين لما كان ليمكن ان يفكر احد منا في محاكمة الشيخ بخيت لان له رايا يخالف الكثرة . ولو كنا متطورين لما كانت هذه المناقشة بشأن المفاضلة بين العلم والادب . ولو كنا متطورين لكان لنا نساء قاضيات ونائبات مثل لبنان .

ولو ان فكرة التطور كانت تسود العقلية العربية ، ولو ان كتب داروين وغير داروين « العلمية » كانت منشورة تقرا وتناقش ، لما وصلنا الى هذه الحال الاسيفة من جمود الذهن بل تعفن الذهن .

وأي شيء اكبر دلالة على تعفن الذهن من آن تؤلف لابي نواس وعنه نحو عشرة كتب ثم نقول بعد ذلك اننا لسنا في حاجة الى العلم ؟ وانما نحن في حاجةالى الادب ؟ واي ادب ؟ ادب روميوروجولييت ومكبث وهاملت .

اذكروا يا ناس هذا الدق لابوابنا في غزة

اننا لا نحتاج الى مسرحيات شكسبير ولا نحتاج الى تقييد الفكر، وانما نحتاج الى انشاء كلياتلدروس العلوم . ونحتاج الى ترجمة مائة كتاب في العلوم والمناهج العلمية ..

اني اخاف على وطني

واخيرا ... اخيرا . قرات اليوم في صحفنا ان الهند قد ارسلت بعثة مؤلفةمن خمسمائة هندي الى روسيا، لا لتدرس تولستوي وتشيهوف ، وانما لتدرس العلم والصناعة . وخاصة صناعة الصلب .

اسمعي يا مصر . افهمي يا مصر .

[اخبار اليوم] **سلامه موسى**

واها للمجمع اللغوي واها

●

ذكرت الصحف امس ان ثورا افلت من سائقه في طريقه الىالمذبح فصال وجال في ميدان زين العابدين يصرع كل من عرض له من الفتيان الشجعان ، ثم بدا له ان يهبط الى شارع كلية الطب فعاث فيه ما شاء له ، يمرح ويرمح ، وينطح ويبطح ، ومنه اندفع في شارع قصر العيني فائرا فاجرا يبطش على الجانبين ، واخذ يركض ويهرجل حتى بلغ باب المجمع اللغوي ، فهنا هدا وتنفس واستحيا وتقعس ثم اقتحم الحديقة الزاهرة . يا للتجريح والتدنيس ! أزهار العلم وانوار الفهم تصبح مداسا لثور يمرغ فيها اظلافه ! حقا انه « تور » . فخاف اهل الحي على بيت الحكمة وملاذ المعرفة ، فاقبل الجزارون بالسكاكين وبالبلط ، ودار بينهم وبين الثور براز استشهاد ، ولكنهم اخفقوا . فاستدعى المجمع رجال المطافىء فاسرعوا بحبالهموظفروا بالثور فذبح . وكفى الله عز وجل اصدقاء المجمع شر القتال .

وقارىء الخبر لا يطمئن الى ظاهر الامور ، بل يتشمم وراء الخبر سرا او اسرارا قد تكون على خطر عظيم . لعمري لماذا شط الثور في ركضه من ميدان زين العابدين هنالك حتىباب المجمع الموقر عند راس شارع قصر العيني ؟ لماذا لم يتمهل في شارع كلية الطب وفي وسطه روض اخضر حقيق بان يسيل لعابه ؟ او لماذا لم يهدأ عند باب اخر نحو باب مستشفى قصر العيني وفيه حديقة تضحكاو بابوزارة الاشغال وفناؤها الرحب يرقص فيه نبات ناضروافر ؟

كلا ! هذا الثور طالب علم اراد ان « يجاور » لحظة او لحظتين في حديقة المجمع اللغوي صاحبالصيت المستطير في انحاء العالم شرقا وغربا. ولو كان الثور من طلاب العلم الهين لكان وثب الى دار المجمع العلمي المصري وهو بازاء المجمع اللغوي . ولكن أين الغدير من البحر المحيط ؟ وما يدرينا فلربما كان الثور استكان وتصاغر وقمع ثورته وعفر خده لو كان خرج اليه من تحت قبة المجمع احد الافاضل النحارير والائمة الفحول فقرا له فصلا من قريحة سيبويه او الزمخشري او ابن هشام او طرح عليه فقرة من الجزء الاخير لمجلة المجمع .

هذا سر . ولكن العقلاء قدينفرون منه . فهناك سر آخر اظنه قريبامن المعقول . وان ظن المسئولون ظني وجب عليهم ان يامروا باجراء تحقيق دقيق . وقوام السر ان دارا اخرىمن دور العلم في مصر غاظها نشاط المجمع اللغوي الذي لم يدع لاحد متسعا للاجتهاد ، وساءها منزلته التي تبوات ثريا الفخر . ساءها هذا وغاظها ذاك فأغرت ثورا فطنا ـ والفطنة موزعة بين الناس لا يختص بها اهل العلم ـ أغرته وسلطته على دار المجمع اللغوي يفتك بها . اعوذ بالله من الشيطان وقبح الله وجه الحاسد !

وسبب الحسد ان المجمع المجتهد جد الاجتهاد اخرج من مجلته الجليلة الطريفة سبعة اجزاء في اثناء عشرين سنة ، ثم وعدنا معجما وسيطا لم يخرج وكذلك معجما كبيرا لم يخرج ايضا ، ثم ضمن لنا من نفسه انيجود علينا باصطلاحات الفنون كلها فنشرت الصحفمنهاالاسبوع مضى ستة في فن المسرح،هي: «مسرح» بدلامن تياترو ، « مسرحية » بدلا من رواية ، «ملهاة»

من كوميـــدي (أي ممثل الملهاة) ، مأساة بدلا من دراما ، « مـأسوي » اي الممثل الذي يجيد تمثيل المأساة ــ ما شاء الله ! تأمل الابتداع والابتكار والتجديد والتوليد والنماء والوفاء !

فلعل دم الثور الذبيح ــ كبـش المجمع اللغوي ــ في احد الاشهـر الحرم ، ان يصبح فداء المجمع مـن شر الحسد ، فيحثه على النشـاط فيحييه .

[اخبار اليوم] **بشر فـارس**

لهجة عربية قديمة منسية

●

يعيش في اسيا الوسطى (الاتحـاد السوفياتي) جماعات عربية صغيرة متخلفة من ايام الفتوحـات التاريخية الكبرى . وقد اهتـم المستشرقون السوفياتيون بلغة هذه الجماعات فسجلوها تسجيلا علميا وعقدوا فيها دراسـات وافيـه . وفـي مـا يـلي دراسة للاكاديمي تزيريتيلي عن العربيـة فـي اسيـا الوسطى :

تعود المعلومات عن العرب في اسيا الوسطى الى عهد الفتوحات الكبـيرة ويقول الجغرافيون والمؤرخون العرب من القرنين التاسع والعاشر ان السكان العرب كانوا يشكلون منذ القرنـين السابع والثامن نسبة ما في بعض مدن ما وراء النهر وخاصة في بخارى وسمرقند . وقد وردت منـذ القرن الخامس عشر معلومات عن العـرب البدو ، في وثائق مختلفة (فرامانات) لامراء بخارى وفي مطلع القـرن التاسع عشر كانعرببخارى واكتشي يؤلفون وحدات ادارية خاصة يقـوم على راسها « امراء هزار» (ولاة الالف)

وفي القرن التاسع عشر اخـذ كثيرون من المسـافرين الذين زاروا امارة بخارى ينقلون اخبارا مفصلـة

نوعاً ما عن عرب آسيا الوسطى منها معلومات عن عددهم غير انه حتى الاونة الاخيرة لم يكن معروفا الى اي حد احتفظ هؤلاء باللغة العربية .

والى عهد قريب افلح العلماء السوفياتيون في ان يردوا الى الاسرة الكبيرة للالسنة العربية لهجات جديدة ضائعة في ظلام القرون وفي شعوب اسيا الوسطى المترامية الاطراف .

وعلى اثر تنقيب خاص ثبت ان في اسيا الوسطى اليوم لهجتين عربيتين لهجة بخارى ولهجة قشقاداريا والفرق بينهما كبير الى حد ان عرب بخارى وعرب قشقاداريا لا يفهمون بعضهم بعضا ، فهم يؤثرون التخاطب فيما بينهم باللغتين الطاجكية او الاوزبكية .

ان العثور في اسيا الوسطى على لهجات عربية كانت مجهولة من قبل هو امر ذو اهمية كبيرة في علم اللهجات العربية وعلم تاريخ اللغات المقارن بين اللغات السامية .

لقد تطورت هذه اللهجات طوال قرون في بيئة لغات اخرى ، فتأثرت بالطاجكية والاوزبكية ، كما تأثرت جزئيا بالافغانية والتركمانية. وبالنظر الى ذلك حصلت تغيرات هامة في هذه اللهجات من حيث تركيب الاصوات والصرف وكذلك النحو . وظلت هذه اللهجات طوال مرحلة مديدة دون اتصال باللغة العربية الفصحى ولا بلهجة عربية اخرى ، مما جعلها بعيدة عن التأثر بهما

ان اللهجات العربية في اسيا الوسطى تختلف عن جميع اللهجات العربية المعروفة (سواء من حيث تسرب لغات اخرى اليها او من حيث التراث السامي الصرف) اختلافا كبيرا يجعلها تؤلف مجموعة مستقلة كل الاستقلال تحتل ، كالمالطية ، مكانة على حدة بين اللهجات العربية المعروفة .

ثم ان للغة عرب اسيا الوسطى بعض الملامح التي تجعلها مشابهة لبعض اللهجات العربية الاخرى ، وهذا امر طبيعي ، فبعض اشكال هذه اللغة تصادف في اللهجةالعراقية واللهجة المصرية وحتى في لهجات بعيدة عنها جغرافيا كاللهجة السودانية والمالطية .

وقد احتفظت لهجات آسيا الوسطى في بعض الحالات ، اكثر بكثير من الالسنة العربية الاخرى بعنصرارامي.

واحتفظت هذه اللهجات بمعظم الاصوات العربية ، ولم تفقد سوى الاحرف الساكنة التي تلفظ ما بين الاسنان وبعض الاصوات المفخمة .

اما الضمائر والاعداد وظرف الزمان والمكان والادوات والافعال التي احتفظت باشكالها القديمة ، فهي ذات اهمية كبيرة وظهرت بالاضافة الى ذلك صيغ لغوية جديدة .

وفي اجتماع اسم الموصوف والصفة، يلحق التنوين باسم الموصوف وحده، مثال ذلك : فرس ابيض ، ومن جهة اخرى ، ان التنوين لا وجود له مع اشكال ظرف الزمان والمكان في لهجة بخارى . فبعكس ما نلاقيه في السنة عربية عديدة ، نجد هنا كلمة السلام « مرحب » بدلا من « مرحبا » وهكذا دواليك من الاشكال المطابقة لاشكال الكلام عند البدو . ولا نجد الشكل الظرفي مع التنوين الا في لهجة قشقاداريا ولكن بشيء من التخفيف مع ذلك .

وقد احتفظت الاسماء بالجمع السالم المنتهي بـ « ين » مع مد الصوت ، ويغلب الجمع حسب علامة جمع المؤنث السالم بدلا من جمع التكسير ، مثال ذلك « ايدات » (الايدي) ، حتى في الكلمات المذكرة مثل « كتابات » (كتب) . ويستعمل كذلك جمع التكسير مثل « رجل » (الارجل) وحمير .

واحتفظت اسماء الموصوف ايضا بصيغة المثنى : « ايدين » (اليدان) و « عينين » (العينان) الخ .

وتغير تركيب الجملة العربية تغيرا محسوسا . فقد طرات على لهجات آسيا الوسطى ظاهرات نحوية غريبة عن العربية وغيرهامن اللغات السامية.

فالتركيب السامي القديم المعروف بـ « الاضافة » ما زال باقيا ، مثال ذلك : ام البنت . بيد اننا نصادف في كثير من الاحيان تركيبا غريبا عن اللغات السامية ، نجد المضاف مثلا : « حطب مبيع » (بائع الحطب) .

واتسع استعمال الاضافة كما هي في التركية اتساعا كبيرا . وهنا يوضع المضاف اليه اولا ثم يتبعه المضاف متضمنا صيغة الضمير في آخره ، مثال ذلك : « حمير صاحبين » (لهجة بخاري) (ومعناه اصحاب الحمير) .

ويعد اليوم في الاتحاد السوفياتي نشر مصنف في اربعة مجلدات عن لغة عرب آسيا الوسطى . والمجلد الاول الذي سيصدر قريبا يتضمن نصوصا من لهجة بخاري مع ترجمتها الى الروسية . وسيحتوي المجلد الثاني نصوصا من لهجة قشقاداريا مع ترجمتها الى الروسية . وسيكون المجلد الثالث قاموسا للهجتين . اما المجلد الرابع فسيتضمن التحليل الفراماطيقي للهجتين العربيتين في آسيا الوسطى .

تزيريتيلي

امكانيات مصر الصناعية

●

خامات مصر الحديدية

توجد الخامات بكثرة في المناجم بمصر . وهذه الخامات من درجة متوسطة من حيث نسبةالحديد فيها. وتلك الدرجة تسمح بالاستغلال الاقتصادي السليم للمناجم . ويمكننا ان نقسم خامات مصر الحديدية الى ثلاثة اقسام رئيسية :

هيماتيت احمر : ويوجد في الصحراء الكائنة شرقي اسوان على بعد ٣ كيلومترات شرقي النيل ،

وتمتد مناجمه على مساحة تبلغ ١٢٥٠ كيلو متر مربع ، وتقدرالكميات التي تستخرج من تلك المنطقة من على السطح بما يلزم الصناعة في مصر لمدة ثلاثين عاما . واذا اخذنا في الحسبان ما يمكن استخراجه من باطن الارض لوصلنا الى رقم كبير .

هذا وقدحللت ٦٠٠ عينة ، واعطت نتيجة التحليل نسبة متوسطة من الحديد الخام قدرها ٥٠ بالمئة . وقد اقيم خط حديدي يصل تلك المنطقة باسوان لتسهيل نقل الخامات .

ماجنتيت اسود : في الصحراء الشرقية وعلى شواطىء البحر الاحمر وعلى الاخص في وادي الكريم ووادي سويكات ووادي ام حجاليج . وقد قدرت الكمية الموجودة في هذه المناطق الثلاث بـ ١٥ ــ ٢٠ مليون‌طن نسبة الخام فيها ٦٠ بالمئة .

خام اصفر ليموني : ويوجد في الواحات الشمالية ، ويقدر بـ ٣٠ مليون طن ، ونسبة الحديد الخام تتراوح بين ٣٦ بالمئة و٦٠ بالمئة .

وسينشأ مصنع لاستثمار خامات اسوان ، تبلغ طاقته الانتاجية ١١٠،٠٠٠ طن عام ١٩٥٧ وتصل الى ٢٣٥،٠٠٠ طن سنة ١٩٥٨ .

هذا جزء ضئيل من امكانياتنا ، سيكون له كبير الاثر في تصنيع البلاد اذا ما احسن استغلاله .

الصناعات المعدنية الحديدية

صناعة الحديد والصلب وتضم خمسة مصانع تنتج حاليا ٩٠،٣٠٠ طن بينما تبلغ قدرتها الانتاجية ١٤١ الف طن ، ويقدر الاستهلاك المحلي بحوالي ٣٠٠ الف طن .

الانشاءات المعدنية تضم حوالي ثلاثين مصنعا تنتج ٦٠٠٠ طن سنويا وتبلغ قدرتها الانتاجية ١٢٠٠٠ طن والاستهلاك المحلي ١٢٥٠٠ طن . وهي تنتج آلات رفع الجسور ومستودعات الوقود والمياه والاحواض القائمة . وتقوم بتجميع وتركيب هذه الانشاءات الجاهزة المستوردة من الخارج . ولكن هذه الصناعة تلاقي بعض الصعوبات



٢٢ يونيو ١٩٥٥ ـ وصل الى بيروت فيصل الثاني ملك العراق في طريقه الى تركيا التي يزورها زيارة رسمية يرافقه الامير عبد الاله ولي العهد والسيد نوري السعيد رئيس الحكومة .

ـ قدم السنيور ماريو شيلبا رئيس الوزارة الايطالية استقالة حكومته .

٢٣ ـ صدر بلاغ سوفياتي هندي مشترك اثر انتهاء محادثات نهرو ـ بولغانين يدل على تطور سياسي دولي هام فقد اعلن الاتحاد السوفياتي تعهده بعدم التدخل حتى لاسباب عقائدية في الشؤون الداخلية للدول الاخرى كما اعلن اعتناقه لمبادئ التعايش السلمي كقاعدة لتسيير العلاقات الدولية وطالب بحظر الاسلحة الذرية وتحريم تجربتها .

٢٤ ـ قدمت الوزارة الارجنتينية استقالتها .

ـ وقعت محاولة لاغتيال المستر توهمان رئيس جمهورية ليبريا .

٢٥ ـ بلغ عدد الانفجارات التي وقعت في قبرص خلال اسبوع واحد ٢٤ انفجارا وقد اصدرت السلطات البريطانية قرارا بحظر التجول ليلا في جميع المدن القبرصية .

ـ صرح اديناور مستشار المانيا الغربية انه سيزور الاتحاد السوفياتي في شهر سبتمبر .

٢٦ ـ اذاع راديو بكين ان حكومة الصين الشعبية قضت على مؤامرة لقلب الحكومة وهي خامس مؤامرة تكتشفها في اقل من ثلاثة اشهر .

٢٧ ـ اعلن البانديت نهرو في خطاب القاه في مدينة فيينا ان الانسانية تعيش في عصر خطر ربما يعود الى خطر الحرب الذي يهدد العالم .

٢٨ ـ اصدرت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ويوجسلافيا بلاغا مشتركا عن نتائج الابحاث التي دارت بين مندوبي البلاد الاربعة في بلغراد يعلن الاتفاق الكامل بشأن القضايا العالمية ويؤكد الحاجة لتقوية يوجسلافيا المستقلة .

ـ اعلن ان الوساطة التي تقوم بها مصر والعربية السعودية للفصل في النزاع بين باكستان وافغانستان قد اخفقت .

ـ افتتحت على مقربة من غزة المفاوضات المصرية الاسرائيلية برئاسة الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين في فلسطين للتوصل الى اجراءات عملية لتخفيف حدة التوتر في شقة غزة .

٢٩ ـ تفاقمت الازمة في اندونيسيا بين الجيش والحكومة بعد ان رفض الكولونيل لويس اطاعة امر الحكومة بفصله لتزعمه حركة الجيش في معارضته تعيين الجنرال تيوبو رئيسا لهيئة الاركان .

٣٠ ـ تم توقيع اتفاق مساعدة عسكرية متبادلة في بون بين امريكا والمانيا الغربية .

اول يوليو ١٩٥٥ ـ عدل الجنرال بيرون الوزارة الارجنتينية وادخل اربعة وزراء جدد يؤيدهم الجيش واعيد فتح مراكز حركة العمل الكاثوليكي .

ـ اعلن في كراتشي السيد محمد علي انضمام الباكستان الى الحلف التركي العراقي ، وبذلك اصبح الحلف منظمة اقليمية لها مجلسها الخاص بعد ان اصبح يضم اربع دول هي تركيا والعراق وبريطانيا والباكستان .

٢ ـ تجري محادثات بين الماريشال تيتو والبانديت نهرو رئيس وزراء الهند الذي يقوم بزيارة يوجسلافيا .

ـ اعلن وزير الخارجية اليونانية ان اليونان ستقبل الاقتراح البريطاني الرامي الى عقد مؤتمر يضم اليونان وتركيا وبريطانيا لبحث قضية قبرص ومستقبلها .

٤ ـ اعلن السير انطوني ايدن ان بريطانيا واتحاد جنوبي افريقيا قد اتفقتا على عقد مؤتمر لبحث الدفاع عن القارة الافريقية .

ـ وصل الماريشال هاردنج رئيس اركان حرب القوات الامبراطورية البريطانية الى انقره تلبية لدعوة الحكومة التركية .

٥ ـ توقفت المفاوضات السوفياتية اليابانية التي تجري في لندن لعقد معاهدة الصلح بين البلدين بسبب سفر رئيس الوفد السوفياتي الى موسكو لاستشارة حكومته بشأن مطلب اليابانيين الافراج عن اسراهم لدى السوفيات قبل البدء في المفاوضات .

٦ ـ افتتح في بانكوك الماريشال بيبول سونغرام رئيس وزراء سيام المؤتمر الذي يعقده اكثر من خمسين مستشارا عسكريا يمثلون الدول الثماني المنتمية الى حلف جنوب شرقي آسيا .

٨ ـ اصدرت الحكومة اللبنانية بلاغا نفت فيه ان يكون رئيس الجمهورية اللبنانية قد تعهد لرئيس جمهورية تركيا باقحام لبنان في الحلف التركي العراقي البريطاني .

ـ قدم الاستاذ سامي الصلح رئيس الوزارة اللبنانية استقالته .

ـ ابرمت الجمعية الوطنية الفرنسية الاتفاقات التونسية الفرنسية المتعلقة بمنح تونس الحكم الذاتي . والمعروف ان الاتفاقات تبقي شؤون الامن والدفاع والخارجية في ايدي الفرنسيين على ان تتسلم حكومة تونس بقية الادارات على مراحل .

٩ ـ الف الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ صدر بلاغ عن المحادثات التي جرت اخيرا في لندن بين البانديت نهرو والسير انطوني ايدن جاء فيه انها شملت مواضيع عديدة واسعة في امور مشتركة المصالح .

١٠ ـ وصل هوشي منه رئيس جمهورية الفيتنام الشمالية الى الاتحاد السوفياتي في زيارة رسمية .

١١ ـ مر البنديت نهرو بالقاهرة وجرت محادثات بينه وبين البكباشي جمال عبد الناصر . وقد صرح للصحافة قائلا ان شعوب البلدان التي زارها راغبة رغبة اكيدة في السير خطوات ايجابية نحو تخفيف حدة التوتر الدولي والوصول الى حلول سلمية للمشاكل الدولية .

١٣ ـ اكدت اوساط طهران الرسمية بان الشاه قد قبل الدعوة لزيارة موسكو ولكنه لم يحدد موعد سفره .

١٤ ـ اعلن الجنرال بيرون تخليه عن رئاسة الحزب البيروني وتفرغه لرئاسة الجمهورية وقال ان الفترة الثورية قد انتهت وستبدأ البلاد عهدا دستوريا جديدا .

١٥ ـ اعلن الماريشال بولغانين ان الصراع القائم بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية لا يمكن ان يحل بالحرب وان الوفد السوفياتي الى مؤتمر جنيف سيسعى الى اقامة نظام للامن الجماعي والسلامة المشتركة .

١٦ ـ اعلنت حالة الطوارئ في الدار البيضاء وتسلم الجيش حفظ الامن على أثر الاضطرابات التي حدثت .

١٧ ـ وصل الى جنيف الرئيس ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة والماريشال بولغانين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي والسير انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية والمسيو ادجار فور رئيس الحكومة الفرنسية وذلك للاشتراك بالمؤتمر التاريخي الذي ستعقده الدول الاربع الكبرى على ارفع مستوى لحل المشاكل العالمية .

١٨ ـ عقد مؤتمر رؤساء الدول الاربع الكبرى اولى اجتماعاته في جنيف .

مطبعة العمال اللبنانيين
الحازمية ـ بيروت